كتاب

سرّ مملكة

تأليف

سليم سركيس
صاحب جريدة المشير ومحررها ومديرها

***

الجزء الاول

تاريخ حياة عبد العزيز وقتلهِ : ولاية مراد وخلعهِ : محاكمة مدحت باشا واعوانهِ

طُبع في مصر سنة ١٨٩٥

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

SRLF
YRL
OC/44461714

اهداء الكتاب

أقدّم هذا الجزء هديّة الى حضرة دولتلو نجابتلو

محمد رشاد الدين افندي

ولي عهد السلطنة العثمانيّة دام وجودهُ

ليعرف ادامهُ الله ماضي دولتهِ فيحكم كيف يجب
ان يكون مستقبلها

العثماني الحرّ
سليم سركيس

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مقدمة

سميتُ كتابي هذا "سر مملكة" لانَّ تاريخ سلاطين تركيا كلهُ اسرار غامضة . وهذه المرة الاولى التي ظهرت فيها هذه التفاصيل في اللغة العربيَّة وقد ظهرت قبلاً باللغتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة لكن تركيا ابتاعت تلك المؤلفات وكتمت امرها وقد حاولت ان تبتاع كتابي هذا كما حاولت ابتياع جريدتي "المشير" فامتنع عليها ذلك فأعدتُ طبعهُ نقلاً عن الفصول التي نشرتها تباعاً في المشير ويلي هذا الجزء الجزء الثاني وفيهِ تاريخ حياة جلالة السلطان عبد الحميد والسلطان مراد وكيفيَّة خلعهِ ومعيشة السلاطين في قصورهم وخلواتهم وغير ذلك من الاسرار التي تجب معرفتها

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

السلطان عبد العزيز

السلطان عبد العزيز امير المؤمنين وسلطان السلاطين ظل الله على الارض وخليفة رسول رب العالمين خاقان البحرَين وسلطان البرَّين من تشرّف الوجود بوجودهِ واشرق بدر السعادة في منتهى سعودهِ الخ (كما هو الواجب على الصحف العثمانيَّة ان تلقب السلطان عند ما يرد ذكر اسمهِ) كان رجلاً قويًّا ملآن الوجه بعينين واسعتين محدقتين

تحدَّث الناس بسلوكهِ وخصوصاً رغبتهُ الفائقة في المال والاسراف المتناهي الذي كان يستعملهُ لتبذيرهِ فكان يدأبُ على احراز المال فينال مشتهاهُ ثم ينفقُ ما احرزهُ على تشييد قصر جديد مثلاً فانهُ كان ولوعاً ببناء القصور العظيمة اذ تنبأَ لهُ بعضهم انهُ يبقى حيًّا ما لازم البناء . وجاء بالاسود

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

والنمورة من افريقيا والهند وكان يضع طير الببغاء في اقفاص تملأُ جوانب القصر واتى بمركباتٍ كثيرة من جميع المعامل في اوربا اما البيانو "آلة طرب" فكانت تعلق على اكتاف الرجال ثم يُضرَب عليها ليَطرَب جلالتهُ وكانت تلذُّ لهُ مبارزة الادياك فيمنح الديك الفائز في العراك وساماً يزينهُ كما كان كومدروس يزيّن جوادهُ

وقد تمرُّ بهِ اوقات لا يجد فيها ما يرضيهِ فيسيء الظن بجميع افراد بلاطهِ ويكتفي من القوت بالبيض المسلوق وكان يستولي عليهِ الخوف من النار فيأْبى ان يكون على مقربةٍ منهُ شيء مصنوع من الخشب ويقرأُ في الليل على نور شمعة موضوعة في الماء ولم يكن يؤثّر عليهِ في هذه النوب الا والدتهُ التي اعماها حب ولدها عن عيوبهِ وستر عنها الخطر الذي يتعرض لهُ فما لبث الرأي العام ان قضى عليهِ

اما ساكن الجنان السلطان عبد المجيد فتوفي بعد ان طال ملكهُ الى اجل غير عادي فقد ملك ٢٢ سنة ولم تسبق العادة ان يموت السلطان العثماني حتف انفهِ وعلى فراشهِ

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ميتة الهدوّ والسكينة ولا ان يشتمل عبد العزيز من بعدهِ سيف عثمان (جريًا على العادة المألوفة) بدون مذبحة او ثورة

وكان عبد العزيز في شبابهِ طاهر الذيل من كل وصمةٍ نظير نيرون في شبابهِ جميلاً مجتهدًا بالنسبة الى اجتهاد الامراء وهو الذي عقد مجالس شورى الدولة في السر عسكريَّة الّتي كان يرئسها بذاتهِ وتلك المصابيح المشرقة بالعدالة في ظلام الليل انبأَت الشعب ان امير المؤمنين منهمك بذاتهِ في مصالح الدولة والامة

وكان عبد العزيز في تلك الايام السعيدة موضوع ثناء الناس يلهجون بمديحهِ وهو لاهٍ عن اطماع السلطان واميال الاهواء باشغال الدولة . لم يتخذ لهُ في ذلك العهد الّا امرأَة واحدة تزوجها بموجب الشرع واحلها محل الاهل ومعلوم ان من عادة السلاطين في عيد الاضحى ان تقدم الوالدة سلطانه لابنها السلطان جارية ممتازة في جمالها . اما عبد العزيز فكان يقبل تلك الهديَّة عملاً بالتقاليد ويدفعها

رأساً الى زوجتهِ تستخدمها في الحرم فلا يراها ولا يميل بقلبهِ الى تجربة هذه العادة

وانشأ المدارس قرب كل جامع وسهل التعليم المجاني لرعيتهِ اليونان والارمن حتى اجاز للاسرائيليين تلقي العلوم فيها نظير سائر افراد الرعيّة

وقد فعل كل ذلك بعناية رجلين وهداية سياسيين ممتازين لم تحرز تركيا افضل منهما نعني بهما امين عالي باشا والرجل العظيم فؤاد باشا القانوني الشهير والعالم الكبير صاحب الوصيّة الشهيرة . ولهذه الوصيّة شهرة عظيمة كنتُ قد قرأتها لاول مرة في جريدة المُقطّم اثناء اقامتي في انكلترا ونقلتها الى العدد الاول من جريدتي (رجع الصدى) التي انشأتها هناك وها انا اكررها هنا لتكون من آثار التاريخ المحفوظة . قال مخاطباً جلالة السلطان

مولايِ المعظّم

لم يبقَ من عمري الاّ ايام اوساعات معدودة اقوم فيها بواجب المصلحة العموميّة واريد ان ابسط امام عرشكم

السامي آرائي الاخيرة وهي آراء محزنة بدت لي بعد خدمة طويلة تعيسة على انها لا تبلغ اريكتكم ولا تعرض على نظر جلالتكم الاَّ وانا قد فارقت هذا العالم ولذلك تستمعون اقوالي في هذه المرة ولا يخامركم سوء ظنٍّ فيها لان الصوت الخارج من القبر يكون صادقاً

ان الله عزَّ وجل اولاكم مأموريَّة عظيمة الشأن محفوفة بالاخطار فلكي توفوها حقها يجب على جلالتكم قبل كل شيء ان تعرفوا هذه الحقيقة المحزنة وهي ان الدولة العليَّة في خطر لان تقدم جيراننا السريع وغلط سلفائك الفظيع غادرنا محفوفين بالاخطار وللتخلص من هذه الشدائد يجب على جلالتكم ان تتناسوا العالم الماضي وتقتادوا الامة الى مقاصد جليلة جديدة . واعلم ان جماعة من ابناء الوطن الجهلاء يحاولون اقناعكم انهُ يمكن لنا ارجاع عظمتنا القديمة بواسطة اصطلاحاتنا الماضية ولكن هذا خطاء ووهم لا يعوَّل عليهِ . نعم انهُ لو كان جيراننا باقين على ما كانوا عليهِ قبلاً لكانت اصطلاحاتنا القديمة كافية لجعلك قاضي

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

اوربا وحكمها . ولكن اين هم الآن مما كانوا عليهِ منذ مئتي سنة . فقد تقدموا علينا جميعاً وتركونا وراءهم بمراحل عديدة . — الى ان يقول — . انهُ محكوم على دولتكم بالموت لا محالة ان لم تكن ماليتها كمالية انكلترا ومعارفها كمعارف فرنسا وعساكرها كعساكر روسيا ولاجل ذلك يجب تغيير جميع مدارسنا العسكرية والمدنية . ومن سوء الحظ ان الذين يدعون المحافظة على الاسلام ومراعاة الدين الاسلامي يحولون دون تقدمنا بما يطابق احوال عصرنا فهؤلاء لا يصح ان يعدوا مسلمين وما هم الاَّ جهال متعصبون . اذ العلم الاسلامي لا يختلف عن العلم الاجنبي بل العلم واحد يضيء كالشمس على كل العقول وقد طالعت تآليف المسلمين لاعرف الحقيقة ولا ازال على يقين مما اقول . وما كنت لاخدع مولاي وبلادي واهل مذهبي وانا في حالةٍ لا يطول معها اقتران روحي بجسدي لاقف عما قليل بين يدي الديان العادل . فاشهد واؤكد لجلالتكم ان المعارف الجديدة التي تأتينا عن يد اهل اوربا ليس

فيها ما ينافي مذهبنا واقسم ان سلامة مذهبنا لا بدَّ لها من هذه المعارف التي لا تثبت مملكة في اوربا ما لم تؤسس عليها . نحن لسنا كفوءًا لاعدائنا ولا قبل لنا بمحاربتهم ان لم ينجدنا اصحابنا وحلفاؤنا ولو كانت مساعدة هؤلاء المتحدين غير ثابتة . فدولة الانكليز لم يظهر ان مصافاتها لنا ثابتة كقوانينها ولكنا قد استفدنا منها فوائد كثيرة ولا غنى لنا عن مساعدتها في الاستقبال . وعندي ان الانكليز اهل الثبات يكونون اول احلافنا وآخرهم (ثم يتلو ذلك كلام طويل عن بقيَّة الدول اضربنا عنهُ طلبًا للاختصار) وقال في اواخر وصيتهِ — ولا بدَّ من انشاء المدارس الملكيَّة والحربيَّة على النظام الجديد والاَّ فلا قوة لنا وما دام العلم متأخرًا عندنا فنحن متأخرون . اما تأخر المدارس في عهدي فقد كان بسبب الاحوال السيئة التي كنا فيها واني اوصي خلفائي ان يبذلوا جلَّ عنايتهم في ذلك . اقول هذا وانا عالم ان الجهَّال يحسبونني عدوًّا للدين والدولة ولا يكفون عن شتمي ولكني اسامحهم

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

لانهم لا يحيطون علماً بافكاري وسيتضح لهم صدق نيتي وطويتي على تمادي الايام ويظهر لهم كفري من ايماني فيعلمون اني كنت اعظم ايماناً واصدق طويةً من كثيرين من الذين يندّدون بي الآن واني قد جاهدت حسن الجهاد في حفظ هذا المذهب وهذه الدولة الّتي اوصلوها الى شفا الخراب

﴿عودٌ﴾ وفي تلك الايام السعيدة جرى استبدال القفطان والعمامة بالثوب الافرنجي الرسمي والطربوش الاحمر ولهذا يقال لهُ في تركيا (العزيزي) نسبةً الى السلطان عبد العزيز

واراد السلطان ان يدخل الى بلادهِ وبين شعبهِ العادات الجديدة السائدة في اوربا فعزم ان يزور اوربا ليرى بعينهِ ما اتصل بسمعهِ من انباء المجد والتقدم والمدنيّة العصريّة وصحبهُ في تلك الرحلة الشهيرة فؤاد باشا وابنا اخيهِ مراد (السلطان المخلوع) وعبد الحميد (السلطان الحالي) وهما في سن الشباب

والغريب ان هذه التغييرات صادفت الرضى العام

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وزايل السلطان الاستانة بين هتاف وتهليل وشيعهُ على يختهِ الى مضيق الدردنيل جميع كبراء المسلمين

ومن ذلك اليوم بدأت المناظرة العنيفة التي لا تزال تبدو آثارها حيناً بعد حين بين تركيا الفتاة وتركيا القديمة واستنتج الناس من رحلة السلطان الى اوربا مهد الحريّة والمساواة انهُ يرئس عصابة تركيا الفتاة المائلة الى الحريّة والمساواة

وكان يتبع السلطان في هذه المبادىء عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا الرجل الشهير وكثير من الموالي الشبان والصفطاء وارباب السياسة والمأمورين ولا شك ان النساء التركيات كنَّ يعضدنَ تركيا الفتاة ميلاً منهنَّ الى جميع ما يأتيهِ الشبان

وكان نفوذهنَّ عظيماً من وراء خدورهنَّ الاَّ ان الوالدة سلطانه وحدها اعترضت بعنفٍ على هذه الرحلة فلم تجد من ابنها اذناً صاغية ووعدها يوم سفرهِ ان لا يتغيب اكثر من شهر فانجز ما وعد بهِ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وفي ٢٤ يوليو عام ١٨٦٧ عاد عبد العزيز من هذه الرحلة ووصل الى الاستانة واجتاز البوسفور بطريق البحر الاسود قادماً من الدانوب . وجلس السلطان على العرش فوافاهُ الصدر الاعظم عالي باشا وقد اشغلت خاطرهُ احوال ومسائل الدولة السياسيّة الحاضرة وخصوصاً نهضة اهالي كريت فدنا من مولاهُ بمزيد الاكرام وقبل الارض بين يديهِ وقام بفريضة السلام السلطاني كما يجب ثم قال

— أرجو أن تكون جلالتك راضيا عما رأيت

— انا راضٍ مزيد الرضى بل اشكر الله تعالى انني غير اعمى البصيرة نظير ملوك اوربا

— وما الذي جذب نظر جلالتكم الشريف دون سواهُ في هذه الرحلة

— رأيت المدن الاوربيّة حسنة البناء ولكنها خالية من جمال مناظر الاستانة وكل انسان هناك منهمك في حشد المال والنساء معرّضات في المراقص والاستقبالات تعرُّضاً يوجب الخجل متعلقات على أذرع رجال لا نسب

يصلهم بينَّ وازواجهنَّ لا يبالون بعارهم وعلى وجوه الراقصات ابتسامات لطيفة حلوة الاَّ ان رفاقهنَّ من الرجال يمسكونهنَّ ولا يشعرون باكثر مِمَّا يشعر بهِ الخصيان وهذا يشير الى عظيم تأثير العادات السيئة

— احسنت فيما تقول يا مولاي . ان المسلم المؤمن يستغرب التمدن الاوربي ولكن اولئك النساء يكون منهنَّ زوجات امينات وامهات كريمات ولهنَّ في الغالب معرفة الاساتذة وانما دفعهنَّ الى ذلك اتباع العادة الَّتي لا ضرر فيها

— وهل تحسب هذا مِنْ قبيل التهذيب والتمدن والالوف من الناس يموتون جوعاً في لندن وحدها وتملأ بهم السجون حَتَّى تفيض فهل انت واقف على احصاء ذٰلك ؟ ان جميع السجون ملآنة

— ذٰلك لان الجرائم تعاقب حالاً اما العدل فغير كامل عندنا ويسمح للمجرمين بالفرار والنجاة

— انهم لا ينجون من عدل الله

— يظهر لي ان جلالتكم غير متأثر تأثراً حسناً

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

— يسرني انني ذهبت الى هناك انما اعترف انني كنت اتوق حقيقةً الى الرجوع الى تركيًا فان مثل تلك الحركة المهولة حيث لكل ساعة مايشغلها انما هي حياة صبيان المدارس لا حياة سلطان وهؤلاء الملوك يخدمون شعبهم اما نحن فاننا سادة

— واأسفاه يا مولاي ان من حسن حظك ان لا يسمعك احد

— ولماذا ؟ هلاَّ استطيع ان ابدي افكاري . لعلك تريد مني ان اعيش معيشة اولئك الافرنج الذين يقضون وقتهم وينفقون مالهم على الفنون والتجارة والسياسة

فتأوَّه الوزير الكريم وكان قد امل ان يكون مولاهُ قد تعلم شيئاً من روح العصر او من الاختراعات الجديدة والآراء الحديثة والاصلاحات النافعة ولكن ساء فألهُ . وتأيد ظنهُ لما عاد السلطان فذكرهُ بما يشير الى انهُ ازداد توغلاً في افكارهِ الضيقة

وما لبث عبد العزيز ان استأنف الكلام قائلاً

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

— لا بدّ لي من الاعتراف ان اعظم ما ادهشني كان قبح منظر النساء الاوربيّات المتجاوز الحد لجميعهنّ قبيحات الوجوه الاَّ الامبراطورة اوجيني وامبراطورة النمسا وعندي ان الملك الراغب في التزوج يجب ان تفوق امرأتهُ سائر النساء جمالاً والامر على عكس ذلك في اوربا فانهم على ما أرى يختارون أبسطهم منظرًا في الحسن

ثم حان الوقت لاجتماع عالي باشا بفؤاد باشا يتبادلان الافكار فقال فؤاد باشا هل تكلم جلالتهُ في اشغال الدولة

— لم يذكرها

قال فؤاد باشا — متى سقطنا تعود تركيا الى ما كانت عليهِ

قال عالي باشا — ما رأيك هل يسلك عبد العزيز في سياستهِ خطة اسلافهِ

— نعم لا زيادة ولا نقصان وهو يعتقد انهُ يعرف ما لا تعرفهُ اوربا جمعاء وقد قال لا أجد في هذه الممالك ما اتعلمهُ على انهُ سرَّ بشيء واحد في فرنسا فهل تعلم ما هو

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فازداد اغبرار وجه عالي باشا وهزَّ رأسهُ فاستأنف فؤاد باشا كلامهُ قائلاً

— سرٌّ في فرنسا بامرأة وفي انكلترا اعجب بالاسطول اما في النمسا وبروسيا فلم يجد شيئاً ملذّا وكان يعجب دائماً بجمال امبراطورة فرنسا وأقسم ان يجد امرأة تساويها جمالاً وزاد على ذلك انهُ ليجدنَّ شركسيَّة اجمل منها

وهنا قاطع حديثهما ان اقبل عليهما مولى فتى من فتيان طولمه بنجه وقد تمكنت منهُ مبادئ تركيا الفتاة الى حد انهُ اصرَّ ان يسلم عليهما مصافحةً

ولنعد الى عبدالعزيز فنقول انهُ في مساء ذات يوم ركب جوادًا عربيًا من الخيل الحسان وقد قام في ركابهِ ضابط واحد فقط وسار تحت الممر المحدق بالحديقة

وكانت الطريق التي سار فيها على مهل محاطة باسوار عالية واشجار باسقة تنتهي الى غابات وغياض وما اعترض السكون السائد الاَّ صوت حديث وراء السور فارتاب السلطان لكنهُ ما لبث بعد التفاتهِ حتى علت وجههُ ابتسامة

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وتحوّل الى مصدر الصوت واصغى ثم اسرع فولج باباً للحديقة كان قريباً وبدا من ملامح وجههِ انهُ رأى شيئاً اوجب سرورهُ العظيم لكنهُ كتم الخبر ولم يدركهُ ياورانهِ الذي كان بعيدًا عنهُ

جرى ذلك في شهر ايلول "سبتمبر" وقد نضج العنب الذهبي اللذيذ يزيد حجم الواحدة منهُ على حجم الاجاص وينبت في الحقول المائلة نحو البوسفور وقد ملئت السلال عنباً فوضعت على بساط ممدود ونزعت السيدات براقعهنَّ وتناولنَ سيكاراتهنَّ الى ان يتهيأ الطعام ثم أقبلنَ على شرب القهوة المعتادة التي لايهنأ عيش بدونها . في تلك الساعة استنارت اطراف السماء بأنوار شفق يوم من ايام الخريف فجلست الوالدة سلطانة والسلطانة زوجة عبد العزيز التي لم تعد تشغل من قلبهِ مكانها السابق وعمتهُ ونسيبتاه كريمتا السلطان السابق جميعهنَّ حول خوان فضي قد سترتهُ الوان الطعام الكثيرة وهناك احدى الجواري الشركسيات اسمها مهري هانم من المقرَّبات للوالدة سلطانة

قامت بينهنَّ وقد انجزت انشاد نغم تركي كانت تعزف نغمهُ على قيثارة معها فاقبلت السيدات على اطراء صوتها وحالما انتهينَ من ذلك انسحبت مهري هانم من بينهنَّ الى الظل وقد رافقتها فتاة سوداء صديقة حميمة لها قائمة في حرم الوالدة سلطانة ونزعتا نقابيهما وجلستا على ربوة وافرجتا عن جسديهما جلبابيهما فشفتا عن جسد ناعم كانهما حواري الجنان باديات من الاحراش فتنفست مهري الصعداء وقالت لرفيقتها السوداء

— اجل انني تعيسة . آه ما أجمل السلطان وما اشد حبي لهُ . نعم احبهُ ولا اجسر ارفع نظري اليهِ لكنهُ متى جاء الى الحريم يخفق قلبي حتّى اكاد لا استطيع ان اتنفس . ثم قالت لرفيقتها

" ان لكِ محبًّا يتزوجكِ ويتخذ لكِ بيتًا اما انا فماذا يكون نصيبي ؟ لقد طمحتُ بآمالي الى اسمى مني وتطاولتُ الى غير حدّي

قالت السوداء — ولكنكِ ترينهُ كل يوم فاغنمي

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

تلك الفرص واطرحي نفسك في طريقهِ

— انَّى لي ذٰلك ونحن جوار كثيرات في الحريم كلنا جميلات يختاروننا لهذه الغاية والسلطان لا يميز واحدةً عن الاخرى فلأَي شيءٍ يهتم بي . وخفي عليها وجود منصتٍ يراقبها بعينين سوداوين وسمع حاد من وراء الاغصان فرأَى جمالها وسمع كلامها

وكان عبد العزيز جالساً في احدى البنايات الخشبيَّة الجميلة المسماة كشك وقد اوشك الشفق ان يتحول الى الليل وكان السلطان يعرف الاماكن الَّتي تتردد اليها السلطانات يتناولنَ فيها الطعام فترجل واخذ يسير حول تلك النواحي يرافقه خصي خاص ومن ورائهِ اثنين من العبيد السود . وفيما كانت الحسناء تغني وقف عبد العزيز كالمأْخوذ بالطرب حتَّى اذا طوَّقت مهري جيد رفيقتها ولفظت لها كلمات حبهِ هاج صدر السلطان واضطرب ذٰلك السكون الخاص بهِ

وتأَثر السلطان كثيرًا فسأَل الخصي من الَّتي تغني

اجاب هي احدى جواري الوالدة سلطانة فأمرهُ ان يأتيهُ بها لتطربهُ وكانت مهري اذ ذاك محاطة برفيقاتها يكللنَ رأسها بالازهار فلما أقبل الخصي صاحت بهِ احداهنَّ ما الذي جاء بك الينا يا اوبون افندي اجلس واسمع انشاد مهري

قال اوبون اظنها تزيد احساناً عن بعدٍ وساذهب بها الى الغابة فتصغينَ لصوتها ولكنَّ الحكم

وهكذا خرج بها فهالها الانفراد وسألتهُ عن غايتهِ فقال ان السلطان يدعوك اليهِ فاطربيهِ ما استطعتِ وهي فرصة نادرة لكِ . فلما اشرفا على الكشك ووقع نظر السلطان عليها هالها الموقف وكادت ان تقع مغشياً عليها فسكن السلطان روعها وامر الخصي ان يهيئ لها مجلساً فقعدت عليهِ في اضطراب عظيم ثم عادت فانتعشت بنظرة من السلطان احيت آمالها واندفعت تطرب وتغني غناء سحر فؤادهُ فما انتهت حتى البسها خاتماً كان في يدهِ . ولما اقبل الليل اذا بالباش قادين رئيسة الجواري لا تقف لمهري على اثر فاستشاطت غيظاً واخذت تجول في انحاء

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

القصر تسأل عنها حتّى لقيها الخصي فانبأها ان مهري في حضرة السلطان لا خوف عليها ولا هي تشكو شرًّا . وهكذا صارت الشركسيّة سلطانة

امبراطورة فرنسا في الاستانة

في بيكلر بك استقبل السلطان عبد العزيز الامبراطورة اوجيني وكان القرن الذهبي والبوسفور في بهاء لا مثيل لهُ وهي المرة الاولى الّتي زارت امبراطورة سلطان تركيا فخرج الناس افواجاً واستعدوا لاستقبالها حتّى ان قصر بيكلر بك تجدد فرشهُ والغرف الخاصة بجلالتها جعلت على نسق غرفها في قصر التويلري .

فلما دخلت الباخرة المسماة (النسر) الى خليج بحر مرمرا اطلقت مدافع السلام . وكان السلطان على مقربةٍ من القصر ينتظرها في قايقهِ المذهب وقد لبس ثوب مارشال فرنساوي .وكان مرورها بين قوارب عثمانيّة فيها موسيق

اخذت تعزف نغم النشيد الفرنساوي "فلنسافر الى سوريا" وكان سفراء الدول قد اجتمعوا في قاعات القصر لاستقبال الامبراطورة فقادها السلطان واجلسها على العرش لاقتبال تهانئهم وبعد ان زارت والدة سلطانة والسلطانة الاولى والدة ابنهِ يوسف افندي عزّ الدين عادت الى قصر چيراغان ثم زارت السلطانة مهري الشركسيّة فاستقبلتها وعليها ثوب وزينة تساوي ستة ملايين فرنك وترتب خدمها من مدخل الحريم الى قاعتها

ولما دعيت الامبراطورة الى تناول الطعام وضعوا مائدتين الاولى على النسق الافرنجي والثانية على النسق التركي فاختارت التركيّة وجلس الحريم على المائدة الافرنجيّة وشربنَ لاول مرة نخب الامبراطورة بكؤوس الشمبانيا وكانت عقيلة ميران بك ترجمانة بين الامبراطورة والحريم اللواتي ابتهجنَ كثيراً عند ما اخذت جلالتها سيجارة وبدأَت تدخن وعند الساعة العاشرة شرّف السلطان وبعد ان تبادل مع الامبراطورة الحديث التفت الى مهري والحريم وقال

"تنازلت الامبراطورة فأخبرتني انها وجدت النساء التركيات ارقّ خلق الله وتقول ان اشعة عيونهنّ تزيد على لمعان جواهرهن"" ثم احضروا الشربات والقهوة وانتهت السهرة بأن اخذ السلطان الامبراطورة الى قاربها

الثورة على عبد العزيز

بقي السلطان عبد العزيز عدة سنوات لا ينتبه الى مركزهِ الحرج ازاء استفحال مطالب تركيا الفتاة واستياء هذا الحزب من اسرافهِ ولما حاول مدحت باشا رئيس المصلحين تنبيههُ فصلهُ . ومات في هذه الازمة فؤاد باشا نخلفهُ محمود باشا الذي كان خاضعاً لروسيا في افكارهِ وازداد اسراف السلطان حتّى اثر على الثقة العموميّة واضنك الجيش واثقل كاهل الدولة وكان ينفق الاموال الطائلة مرضاة للسلطانة مهري هانم ونصحت لهُ والدتهُ ان ينفي جميع المصلحين الذين يؤلفون تركيّا الفتاة ففعل ولبث عبد العزيز لا تراهُ الرعيّة الّا يوم الجمعة وانقلبت اطوارهُ وازداد

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

سمنهُ حتى كاد لا يستطيع حراكاً وحاول الوزير محمود ان يسكن خاطر مولاهُ باخفاء كل شيء عن مسامعهِ فقال لهُ ذات يوم — ما بالك حزيناً وملكك سامٍ وروسيا ميّالة اليك والاستانة تزدهي وبيرا أعيد بناؤُها واوربا واثقة بنا

اجاب السلطان — "انك تحاول تسكين خوفي ولكنني عارف ان جماعة المصلحين ضدي جميعاً وهم يودون ابن اخي مراد ومدحت باشا عدوي. قال محمود — "صدقني ان تركيّا الفتاة لا تزال الآن ضعيفة ويقتضي زمن طويل لتحقيق امالهم فلا تخف شرّاً من مدحت ما دمت انا وزيراً لكن اذا حملوك على فصلي لا اكون مسئولاً" وعقب ذلك مذبحة قنصلي فرنسا وبروسيا في سالونيك وشدد السفراء في طلب معاقبة الفاعلين وبعد مضي بضعة ايام اذ كان يوم الجمعة اجتمع الوف من الحزب العمومي والسفطا عند مدخل طولمه بغجه ليقدموا عريضة وهم منتظرون ان يروا السلطان ذاهباً الى الجامع لكن خابت آمالهم ولم يخرج السلطان الى الصلاة فقد كان في قصرهِ يراقب الناس مِن

مجلس الحريم المغطى بالستاير وهو يرتجف خوفاً على حياتهِ فاستاء القوم وتفرقوا في بيرة وغلطة من الاحياء الاوربية يشترون من مخازنها كل سلاح موجود فيها فلم يبقوا آلة جارحة لم يشتروها وحصل اضطراب عظيم وارسل بعض السفراء كل عزيز ونفيس لديهم الى مراكب دولهم الواقفة في الدردنيل وتضاعف عدد الحراس في طولمه بغجه ثم هجموا دفعة واحدة على القصر ينادون " نريد ان نرى السلطان " فاقبل عليهم ياورانهِ حسن الشركسي وهو شقيق مهري مرسلاً من قبل السلطان فقال

— ان السلطان مريض في حريمهِ ويسأَل رعيتهُ الامينة ان تجعلني واسطة لنقل مطالبها فكان الجواب

— لسنا نرضاك بل جئنا لنرى السلطان

— ولكن اذا كانت صحة السلطان لا تسمح لهُ بمقابلتكم فماذا ترغبون

— نرغب في الحال فصل الصدر الاعظم محمود وشيخ الاسلام

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

— سأطلع جلالتهُ على مطالبكم واعود اليكم باوامرهِ.
وهكذا دخل القصر

ثم عاد حسن فقال — ايها الافندية قد تأثر جلالة السلطان بما ابديتموهُ من البراهين على ثقتكم بهِ وهو يأمركم ان تذهبوا حالاً الى الباب العالي ولا يلبث الفرمان الذي تطلبونهُ ان يرسل على اثركم الى السر عسكرية. وعلى الاثر استدعى عدد من الوزراء الجدد لعقد جلسة في طولمه بغجه بالرغم عن معارضة الحريم وخصوصاً الوالدة سلطانة التي اصرت على وجوب عدم الاحتفاء بالمصلحين وخصوصاً عدم اجابة مطالبهم في فصل نسيب قريب نظير محمود باشا. واقبل الوزراء محمد رشدي باشا ورديف باشا وحسين عوني باشا على السلطان فوجدوهُ في اضطراب عظيم وقد جلس في كرسيهِ يقلب بين يديهِ سبحة من العنبر فوقفوا لديهِ موقف الاجلال والتعظيم الى ان قدم لهم الخدم كراسياً جلسوا عليها فقال السلطان

— ماهي اخبار الجيش

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

قال الصدر الاعظم

— مولاي ان جنودك اظهروا شجاعة عظيمة ولكن المرسك ذات صخور وممرات وعرة فذهبوا فريسة اعداء غير منظورين

قال السلطان — باي النوائب جئتم إليَّ الآن

قال الصدر — تعلم جلالتك حالة ماليتنا وقد ساء حال اسمنا المالي والتجارة اتلاشي والشقاء ...

فقاطعهُ قائلاً — ذكَّرتني وما انا بناسٍ انني افقر الملوك فهل تنتظر ورود عوائد ايها الوزير

— نعم مولاي واهم عوائد المملكة

— اذًا لا تغفل عن ان تدفع لي فوائض الكوبون التي بيدي من مصرف المملكة وما كنت لاضع مثل ذلك المال لولا ان محمود باشا اكد لي انها تدفع لي بدون تأخير

فوقف رشدي باشا عن كرسيهِ وقال مولاي المال معين ليدفع الى جنودنا في المرسك

— ولكنني احتاجهُ. قال الوزير اعرف ذلك ولكن

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الجيش يضنيه الجوع والجرحى يحتاجون الى معالجة والمعونات لا تزال متأخرة على اثر الحاجة الى المال

قال عبد العزيز — هذه اعذار فارغة

قال الصدر — صدقني يا مولاي ان من الضروري سد حاجة الجيش في مثل هذه الازمة والاستياء شامل

ثم قال حسين عوني باشا — مولاي قد جئناك لغرض ضروري فالخطر ليس من الحرب على الحدود بل من الثورة في الداخل و٢٠ الفاً من المسلمين يملأون استامبول دماً اذا لم تستجب مطالبهم فوقف السلطان وقد استشاط غيظاً وقال

— اي شيء اعظم من هذه الجرأة

الاّ ان رديف باشا ثبت جنانهُ واخرج ورقة طويلة رفعها الى السلطان وقال هذه التغييرات المطلوبة . فرأى فيها اسماء جميع اخصاء الوزير المفصول فقال

— أهذا كل ما تطلبون

قال رديف نم مولاي. قال السلطان اذاً ارفض

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

طلبهم لاعلم رعيتي واجباتهم فلا يفصل من هؤلاء احد على الاطلاق

فانطرح الصدر على قدمي السلطان وقال — لكن لا بدّ من ذلك يا مولاي فهؤلاء الرجال لا يمكن بقاؤهم في مراكزهم وفصلهم ضروري لبقاء الحكومة

قال السلطان — تكلم يا هذا ان مولاك يسمعك . ما شاء الله يا رديف متى تنقطع عن توجيه اوامرك اليَّ هل تظن انني احتمل هذا العصيان الى الابد

قال الوزير — عفوًا مولاي فانا نفعل هذا لصالح المملكة

قال السلطان — المملكة لي وانا وحدي القاضي الحر في امرها ولكن انت المسؤول وانتم وحدكم . هل سمع الناس يا هذا ان السلطان يخضع لاوامر العصاة اخرجوا ايها الخونة من حضرتي

ثم تقدم الى الامام واشار بيدهِ الى الباب فخرجوا ولم

حديث

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

سقوط عبد العزيز

وتمددت اشاعات سقوط عبد العزيز وتولية مراد لكن لم تتألف عصبة لذلك مع ميل السفطة الى هذا الانقلاب وكانوا يعتبرون مراد افندي موافقاً لافكارهم وانهُ عصري المبادئ فلما طُرِد الوزراء كما تقدم ظهر ان لا سبيل الى حكومة مستقيمة — واليك الطريقة التي اختاروها لحل المعضلة . كان شيخ الاسلام من المصلحين المشاهير فبعثوا اليهِ بالسؤالين الآتيين

"متى لم يعد السلطان قادرًا على الملك هل يجوز خلعهُ شرعاً . ومتى بدد الاموال واوجب فقر شعبهِ بملاهيهِ الذاتيّة هل يجوز خلعهُ شرعاً . وكان الجواب كما يأتي :

"بعونهِ تعالى في ٢٩ ايار سنة ١٢٩٣ . نعم يمكن ان يخلع السلطان اذا خرب بلادهُ باصرارهِ واسرافهِ . لان السلطان يجب ان يكون ابًا لرعيتهِ لا ظالمها سامحهُ الله انهُ العظيم الجبار

كتبهُ الفقير اليهِ تعالى

خير الله

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وكان مراد افندي في ذلك الحين مقيماً في جزيرة برنكيبو احدى جزائر الامراء من حسنات بحر مرمرا قرب الشاطىء الاسيوي على مسافة ساعة من اسكودار وكانت حياتهُ بسيطة جدًّا يقضي اوقاتهُ في زيارة جيرانهِ واكثرهم من الاروام وكان يحب الموسيقى واللغة الايطاليّة فيقضي أوقاتهُ مع الاساتذة والاصحاب الذين كان يدهشهم لطفهُ ورقتهُ لكن لما استفحل امر تركيّا الفتاة في استامبول وصار يخشى من قوتها نقلوا مراد افندي الى كشك قبيح مظلم قريب من مدفن اسكودار وحرموهُ من اساتذتهِ واصحابهِ وتركوهُ فريسة لاشتغال الفكر والمخاوف الّتي لا بدَّ منها لكل من ترشّح لولاية عهد تركيّا فكانت حياتهُ تزداد شقاوة بازدياد قوة تركيا الفتاة

قلنا ان فتوى شيخ الاسلام صدرت في ٢٩ ايار سنة ١٨٧٦ فبعد ظهيرة ذلك اليوم كان مراد افندي يلعب مع احد الخصيان بالطاولة وكان مضطرب البال حتى لم يعرف كيف يدير حجارتهُ وكان موجهاً نظرهُ الى اثنين

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

من الخدم يدخنان في زاوية الغرفة كأنهُ يريد استجلاء الخفايا من وجهيهما وكانا من خارج القصر يعرفان كل الحوادث لكن الامر المشدد قضى بكتمان الاخبار عن مراد حتَّى كان لا يعرف شيئاً عن الاستانة

ثم شعر بحركة غير عادية في الخارج بين ابواب توصد بعنف ووقع الاقدام على السلالم ثم سمع صوتاً من الخارج فاضطرب وسأَل عن السبب قالوا انهُ خصام بين العبيد والخدم قال مراد لكن ألا يمكن ان اعرف ما هو هذا الخصام ؟ قالوا لك ذٰلك فان خيَّاط سموّكم يطلب مقابلتكم والاغوات الحراس يمنعونهُ قال مراد أَظنني سأَترك الاهتمام بثيابي لكن دعوهُ يدخل

الَّا ان الخيَّاط الذي كان مستعجلاً دخل قبل صدور الاذن فنظر اليهِ مراد والتقى نظرهما فعرف ان الداخل عليهِ من اعز اصحابهِ واصدق انصارهِ . وبمزيد التحفظ أَخذ مراد من يدهِ مساطر القماش الَّتي اتى بها وتقدَّم الى النافذة كأنهُ يريد امعان النظر والحقيقة انهُ اراد

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ان يقرأ ورقة مخبأة بين المساطر كان فيها هذه الكلمات
" غداً تكون السلطان "

الامضا محمد رشدي

صدر اعظم

واضطرب مراد كثيراً عند ما قرأ الخبر حتّى استند
على النافذة ثم اشار الى الخصيان باخلاء المكان وهمس في
أذن زائرهِ قائلاً

— اي عزيزي صلاح الدين أراك هنا فما الذي
جرى هل جاء وقت اطلاق سبيلي

— نم يا مولاي وسيكون يوم غد يوم انتقام جميع
احبائك

— وانت يا صلاح الدين قد قاسيت كثيراً من اجلي
وبلغني ذلك عنك مع احتجابي هنا وانقطاع الاخبار عني
قال صلاح الدين

" الوقت أضيق من أن أفكر بنفسي والدقائق
ثمينة عوّض الله عليك اعوام رخاء عديدة بعد الشقاء الذي

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

قاسيتهُ" قال مراد بصوت خافت "والسلطان". اجاب "سيخلع وينفى" قال مراد

– كلاّ لا ينفى وقبل كل شيء احرصوا على حياتهِ حرصكم على حياتي فان ملكي لن يلطخ اولهُ بالدم انني اغفر لهُ واصفح عن ظلمهِ لي واذكر انني غير ناقم عليهِ

هذه احدى الروايات وفي رواية أُخرى ان هذه الحادثة جرت في القصر وان حسين عوني باشا اختطف مراد افندي بمعونة اعوانهِ ونقلهُ الى السر عسكريَّة في فرقتين من الفرسان

وانقضى ذلك اليوم بمزيد السكينة ولم تظهر علامة لظلمات السياسة الَّتي كانت تملأ فضاء الملك الاَّ ان طي هذه السكينة فتحت ابواب الثورة وفيما كان السلطان يهتم في الانتقام مما حسبهُ اهانةً لديوانهِ اصدر الصدر الاعظم الاوامر السريَّة الى مركبي نقل كبيرين وجدا في القرن الذهبي ان توقد النار فيهما استعدادًا للسفر وارسل الى قبطان كلٍّ منهما أوامر سريَّة مختومة لا يفض ختمها الاّ متى

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

اجتازوا ٢٠ ميلاً في عرض البحر ثم ان وزير الحربيَّة اصدر امرًا سريًّا الى رئيس الحرس السلطاني المعروف باخلاصهِ لعبد العزيز ان يسافر بجنودهِ في الحال على المركبين فاطاع وهو يظن انها أوامر السلطان وعند الساعة العاشرة مساءً فتح جسر غلطة وسافرت المراكب ولم يعلم قباطينها انهم يقومون باول حركة في الدسيسة لخلع عبد العزيز وهم يجهلون. والرأي العام يذهب الى ان حكمة وشجاعة مدحت باشا كانا السبب في ترقي مراد الى العرش مدَّة قصيرة شهيرة ويصعب في مثل هذه الازمة ان تعرف حقيقة ما جرى لكن لا ريب انهُ في المجلس السري الذي عقد في السر عسكريَّة بعد مقابلة عبد العزيز في طولمه بغجه قد كان صوت مدحت باشا الذي اصدر الامر الى رصفائهِ الوزراء بالعمل ينادي في ذلك الموقف الرهيب

"ان الحزم يمنع سفك الدم فيجب ان نستعمل الحزم والعجلة والذين يتبعون مشوراتي يعلنوا ذلك" فارتفعت كل يد هناك فقال مدحت "اصغوا لما اقول هوذا المؤذن

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

يؤذن ساعة الصلاة فقبل ان يعلن بزوغ الفجر يجب ان لا يبقى عبد العزيز سلطاناً" وبالرغم عن طول انهماكهم في هذه الدسيسة لم يتمالك رصفاؤهُ التوقف والخوف فقال مدحت "الخطة صريحة عسرة ولكن عليها يتوقف نجاحنا وحياتنا ولكلٍ منا خطة لا انكر انها عسرة يجب ان يقوم بها في هذه الثورة لتنقذ تركيا من ظالم" ثم أخذ يشرح لهم بتطويلٍ آراءهُ ومقاصدهُ لخلع عبد العزيز. وبعد نصف الليل دخل صلاح الدين بك ورديف باشا ثكنة طولمه بغجة بفرقة صغيرة من الجند. ولما رأى الضباط ثوب وزير الحربيَّة اسرعوا إلى استقبالهِ بالاكرام فوقف بينهم رديف باشا بمظهر الشجاعة الفائقة واوضح لهم امر المجلس الصادر الى الضابط المتولي الامر فلم يبدوا ممانعة لان وجود وزير الحرب بشخصهِ كفى لاقناعهم. وكان القائد العام نائماً لا يدري ان جنود الثائرين يتولون حراسة بابهِ وان ضباطهُ استبدلوا بسواهم من الذين أخذوا أوامرهم من الساري عسكر. وبعد دقائق قليلة اجتمعت في ساحة الثكنة الجنود التي

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

جاءت مع رديف باشا وصلاح الدين من اسلامبول وقد خبأ مسدس الطلقات في كمهِ وتبعهُ بعض الضباط باسلحتهم ففحص وجوه الجنود ليتأكد ان ليس بينهم خائن ثم اخرج مسدس الطلقات بغتة وصوبهُ اليهم وقال

انكم ترون هذا السلاح وقد اقسمتم الطاعة لنا فالموت نصيب كل من ينطق بكلمة واحدة ان الله ووطنكم يأمرانكم بالصمت

ثم جرَّد رديف باشا سيفهُ وتقدَّم بعسكرهِ لجهة القصر حتَّى وصل الى الباب الذي يؤدي الى داخل فعلا صراخ الحارس حتَّى ملأ القصر فصوب رديف باشا غدارتهُ الى صدرهِ واسكتهُ ثم وضع احد عساكرهِ حارساً مكانهُ وامر الاول بالانتظام مع فرقتهِ وهكذا فعل مع باقي الحراس حتَّى امتلك عسكرهُ جميع ابواب القصر. اما العساكر فكانوا يجهلون على ما يقال ان ما أُمروا بفعلهِ كان خيانة ضد السلطان بل ظنوا عند ما رأوا وزير الحربيَّة في مقدمتهم انهم يطيعون اوامر عبد العزيز

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وتقدّم رديف باشا إلى الباب الذي يؤدي الى الحريم وبعد أن اصدر أوامرهُ فتح الباب بمفتاح كان معهُ ودخل وتبعهُ البعض من العسكر فاستيقظ لصوتهم بعض الخصيان ونادى احدهم من انتم وماذا تريدون . فاجابهُ صوت جهوري

— انا رديف باشا وزير الحربيّة قد أتيت لاخابر السلطان بمسائل سياسيّة مهمة فاذهب وقل لرئيس الخصيان ان يدخلني عليهِ.فقال الخصي " ولكن تعلم دولتك ان في ساعة كهذه يكون الجميع نياماً " فقال رديف " اذهب وافعل كما امرتك لان المسألة شديدة الاهميّة " فارتعب الخصي لكلامهِ واطاع حالاً

وبعد مضي عشر دقائق ظهر رئيس الخصيان على الباب وقال — أنت يا رديف باشا ماذا تقصد بايقاظك ايانا في منتصف الليل .والله اني افتكرت مرتين قبل ان انهض من فراشي.فقال رديف

— حسناً فعلت والاّ لكنا ايقظناك رغماً عن ارادتك

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فاصغَ لكلامي الآن . اذهب واخبر السلطان اني أُريد مواجهتهُ حالاً .قال الخصي " هل أصاب دولتك جنون حتىَ تأمرني أن اوقظ جلالتهُ في مثل هذه الساعة ".قال رديف" اذهب وايقظهُ حالاً" ثم فتح الباب الخارجي واشار الى العسكر حول القصر وقال " انظر ايها الخصي اتفهم ما هذا ." فارتعد الخصي وارتجفت ركبتاهُ ثم اخذ ضوءًا ودار امام رديف باشا قائلاً" اتقصدون قتل جلالتهِ"فاجابهُ " اني لست خائناً "

ثم دخل مع عسكرهِ يتقدّمهم الخصي وصعدوا للطابق الاول واجتازوا عدة غرف حتَّى وصلوا لغرفة عبد العزيز وعند ذلك قال الخصي" ارحمني ياسيدي فاني لا اتجاسر على الدخول "فلم يجبهُ رديف باشا بكلمة بل صوب غدارتهُ نحو صدرهِ وفي الحال فتح الخصي الباب وقال" على الاقل دعني انبه جلالتهُ لهذا فانهُ ليس وحده" ثم دخل لداخل وبعد بضع دقائق ظهر عبد العزيز على الباب بثياب الليل وملامح وجههِ تدل على الخوف والانزعاج وقال

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

— لماذا انت هنا يا رديف وماذا تريد. فاحنى رديف رأسهُ اعتبارًا وقال

— ان جلالتكم ارسلتم تستدعون الصدر الاعظم هذا النهار واذ لم يتمكن من المجيء لانشغالهِ بامور مهمة تتعلق بالمملكة جئت انا عوضاً عنهُ". فقال عبد العزيز بعظمة

— اذا كان هذا قصدك فقط فكان يمكنك الانتظار الى الصباح. قال رديف

— لو كان قصدي الاعتذار عن الصدر الاعظم فقط لما تجاسرت وازعجت جلالتكم في مثل هذه الساعة ولكني اتيت لاجل امور هي اشد اهمية من هذه

— تكلم حالاً ولا توقفني هنا كل الليل. تكلم هل هذه دسيسة ضدي

— نعم لقد صدق ظن جلالتكم. قال عبد العزيز

— اذاً أنت احد وزرائي الذين عزلتهم قد عينت لتنبئني عن خيانة ضدّي . اجاب رديف

— " نعم قد أتيت لاخبر جلالتكم بذلك " فصرخ

Digitized by Google | Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

عبد العزيز بصوت قوي ملأ اطراف القصر

— خيانة ؟ ممن . واين . وكيف كان ذلك اخبرني بصريح العبارة يارديف فان هذه ليست اول مرة طردتك من امام وجهي " فاجاب رديف بكل هدو وسكينة

— اني لن انسى ذلك ابدًا واذا كنتُ قد رجعت فلاجل ان اعلن لك ان ابن اخيك صار سلطانًا " فصاح عبد العزيز بملء الغيظ " ابن اخي صار سلطانًا " ثم اختطف الورقة من يد رديف باشا وأخذ يقرأُها ويداهُ ترتجفان ووجههُ اصفر مرتعد . وقال

— انكم قوم انذال أظننتم اني اخاف من وعيدكم وتهديدكم . أتجاسرتم ان تسألوني كي اتنازل عن الملك متى ابتدأَت رعاياي ان لا تطيعني . فاجاب رديف بصوت مملوء من الحنق والغيظ

— كان ذلك عندما اسقطت كل حق لك بطاعتهم اياك . عند ما عزلتَ عن يد شيخ الاسلام . عندما انقطعت اوروبا عن ان تكون حليفة لك . عندما لم يعد الجيش يصغى لاوامرك

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وعندما اعلنت تركيا ان مراد ابن اخيك سلطانها فاذا كنت تشك بصحة كلامي تطلع خارج قصرك ترى جيوشي قد احاطتهُ وترى عبيدك الامناء في قبضة يدي والبوارج كلها في ادارة رجالي فسلم نفسك لامر الشعب فقد حان الوقت لذلك

وحاول السلطان ان يعترض رديف باشا ويقطع كلامهُ اما رديف فقال

— مولاي أتوسل اليك حبًّا بذاتك ان لا تعارض أقل معارضة فان ذلك لا يأتيك بفائدة

واشار الى الضباط الذين تولوا حراسة الباب وفي يد كلٍّ منهم طبنجة .

— فصاح السلطان هل تجسر ان توعز إليَّ بالخضوع لاوامر ابن أخي

قال رديف . مولاي يجب ان تفعل

— قال السلطان لكنني استغيث بمن ينجدني فقد بقي لي بعض الاعوان الامناء.وامير المؤمنين لا يمكنهُ

التسليم لوعيد خائن شقي وتهديده نظيرك

– قال رديف انبه جلالتك انك اذا رفعت صوتك تموت للحال

– قال وهل تقتلني ايها الشقي

– اجاب رديف اذا كان لا بدّ من ذلك فنعم

– قال السلطان اذًا لم يبقَ لي صديق

فصمت رديف وقال السلطان "اين اعواني وجنودي الامناء"

– اجاب رديف "انهم سافروا في هذا الليل الى بحر مرمرا"

– السلطان آه انني سمعت بحركة البواخر مسافرة ولم افهم لذلك سبباً

– مولاي قد طال الوقت وهذا فائق ينتظر اوامر جلالتك على الرصيف والسلطان مراد في السر عسكريّة سوف يستولي على هذا المكان في الحال فاتوسل اليك ان تتبعني لئلاّ يحصل ما يسوء حصوله

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

– السلطان اذاً اتبعك. واستند على كتف رئيس الخصيان وقد استتر برداء ثخين ومشى بعض خطوات ثم وقف وهمس في اذن رديف باشا قائلاً

– هل تكون مسؤولاً بسلامة الحريم وخصوصاً السلطانة مهري (التي لم ينسها في هذا الموقف الحرج)

– فاجاب رديف نعم انا المسؤول

ثم ركب السلطان ورديف باشا القارب وسارا الى رصيف قصر ميراجليو وتلتهُ على الاثر السلطانة مهري ووالدتهُ وبقيّة العبيد والحريم واقتضى لنقلهم جميعاً ٦٠ قارباً كبيراً وكانت غرف القصر متهدمة على اثر الاحتراق لكن السلطان اقام في مكان هيأوهُ لهُ موقتاً

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

جلوس مراد

ولا يزال ٣٠ ايار سنة ١٨٧٦ مذكورًا عند الوف من الناس فما اشرقت الشمس على آكام اسيا حتّى اطلق مائة مدفع معلنة للعالم ان قد تولى العرش سلطان جديد وكان هذا الفوز فوزًا لم تهرق فيهِ الدماء وطافت الالوية بالقصر والباب العالي وبرج غلطة وازدانت الدوارع بالالوية وتناهت في الزينة واقبل السفراء والسفيرات والباشوات ونساؤهم وازدحمت الشوارع بجميع اصناف الاهالي ثم اطلقت المدافع تفيد الناس ان السلطان الجديد زايل السر عسكرية الى طولمه بغجه ووقفت الجنود على جانبي الطريق وعند الساعة الثالثة ظهرت العربة الملوكيّة يجرها اربعة من جياد الخيل الانكليزيّة الاصل وقد جلس فيها مراد وحدهُ في ثوب ازرق وعلى صدرهِ وسام المجيدي وهو يحيي الشعب وقد ظهرت دلائل انقلاب عجيب على وجههِ فان من رأى هذا السلطان وهو في السادسة والثلثين

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

من عمرهِ جميل الوجه كبير العينين يشرق منهما نور الظفر لم يعرف انهُ هو نفسهُ كان ذاك الامير المسجون المحاط بالجواسيس الخائف كل ساعة على حياتهِ وكان حليقاً لا شعر في لحيتهِ الاَّ شاربيهِ الجميلين وتبع عربتهُ الفرسان والحرس والناس يهتفون " بادشاهمز چوق يشا "والموسيقى العسكريَّة تصدح بانغامها فمر في بيرا وغلطة الى باب طولمه بغجه العظيم وقد فتح لاستقبالهِ

ولما وصل السلطان مراد امام القصر عند الابواب المذهبة دنا منهُ بمزيد الاعتبار ضابط في عنفوان الشباب يلبس ثوب حراس عبد العزيز وهو حسن الشركسي الذي سيكون لهُ حديث مهم وقدَّم لجلالتهِ رسالة فما تمالك مراد الشعور بتأثر عظيم عند ما تناولها ولما كانت الجرائد يومئذٍ قد نشرت صورة الكتاب فنحن نوردهُ هنا وهذه صورتهُ

مولاي صاحب العظمة . اسمح لآخر رعاياك ان يكون أولهم في تهنئتك عند ابتداء ملكك السعيد وليس لي الاَّ رجاءٌ واحد أتوسل من جلالتكم اجابة سؤلي فيهِ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وهو ان تعفو عن حياتي وان تسمح لي ان أقضيها في قصر شيراغان الذي انشأتهُ جلالتك واسأل الله سبحانهُ وتعالى ان يتولى بحكمتهِ ادارة آراء جلالتك. ثم اذا ساغ لي ان أُقدم لك نصيحة فانني اتوسل اليك ان لا تثق ولا تعتمد ابدًا على جندك فانني ضحيت كل شيء لجنودي فخانوني وفي الختام اقبل مولاي دعائي ان تعيش عيشة طويلة وحياةً سعيدة ذلك دعاء عبدك المخلص

عبد العزيز

وعلى اثر وصول هذا الكتاب نقل عبد العزيز وحريمهُ في الحال الى كشك شيراغان لكن ما لبث السلطان المخلوع ان استرحم نقلهُ الى قصر بيكاربي القائم على شاطىء البوسفور الاسيوي حيث كما يذكر القارىء كان قد استقبل فيهِ الامبراطورة اوجيني واجيب طلبهُ للحال

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

آخر ايام عبد العزيز

ومضت على الحوادث السابقة خمسة ايام ففي يوم الاحد الاول من شهر حزيران (يونيو) رأى الناس عبد العزيز (الذي شاع انهُ يشكو من الارق الشديد) يمشي بقلق ذهاباً واياباً في القاعة الخاصة بهِ واضعاً يديهِ وراء ظهرهِ وكان قد انقطع عن الاكل الاَّ القليل منهُ مدَّة يومين وظهر انهُ ساقط في منتهى ظلمات اليأس وقد هزل جسمهُ ووجههُ وزال ما في عينيهِ من الزهو وكانت السلطانة والدة جالسة بالقرب منهُ على الديوان ومهري ايضاً في الغرفة لانها لم تفارقهُ دقيقة واحدة منذ خلعوهُ وبعد ان تبادل معها الحديث برهة سألها الخروج ليبقى وحدهُ قائلاً انهُ يشعر بتعب وحاجة الى النوم فتأخرتا عن الخروج لكنهُ ازداد الحاحاً وقال

انني استلقي على الديوان واحاول ان انال راحةً قليلة

وفيما هما خارجتان استوقف مهري قائلاً

Digitized by Google — Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ارسلي لي مرآة والمقص المجي لانني ارغب في تزيين لحيتي

وكانت هذه آخر عبارة لفظها ثم أوصد الباب الفاصل بين السلاملك والحريم

ولم يعرف حتى الآن حقيقة ما جرى بعدئذٍ فان اسمعيل بك (الذي كان يتولى الحراسة في زاوية الغرفة أو خارج الباب) كان اول من نبه الى الخطر فلما أقبلت الوالدة سلطانة والسلطانة وجدتا عبد العزيز ملقًى على الديوان لا حراك بهِ والدم قد ستر جسمهُ ولا يزال يتدفق من أوردة ذراعيهِ ومعصميهِ وقدميهِ فحاول اسمعيل بك ان يوقف نزيف الدم عبثاً بمنديلهِ فان السلطان كان قد مات وفاضت روحهُ لتقف امام الخالق الديان وتحوّل وجههُ المصفر الى جهة كتفهِ والمقص ملقًى الى جانبهِ ملطخاً بالدم وشعر لحيتهِ مقصوص حتى جذورهِ وعلا صراخ السلطانة واقبل الخدم والاعوان فلم يستطيعوا عملاً

وافاد اسمعيل بك ان السلطان كان قد تحوّل عنهُ

وقبل ان تمكن من انتقال المقص من يدهِ كان قد قطع أوردتهُ ثم تململ برهة وسقط سقوطاً لا نهوض بعدهُ

هذه خلاصة قصة الموت ويقال انها القصة الحقيقيَّة

واذا فرضنا وجود العزم على قتلهِ فلا يحتمل ان يفتك بهِ على هذا النمط الفظيع ولا يحتمل ايضاً صحة ما حدث من ان بستانيًّا يتبرع بنفسهِ ويقول انهُ هو الذي قتلهُ فانما فعل ذلك ليجر الويل الى آخرين من الرجال العظام الذين خطر لارباب الامر التخلص منهم فاختاروا هذه الطريقة لاتهامهم

ان للاتراك خطة ممتازة وبراعة فريدة في اختيار طرق القتل مع حفظ الامر سرًّا مطويًّا. كذا يقال في بعض الروايات على انني لا أجزم بصحتها وارجو القارئ ان لا يصدر حكمهُ الآن بل ينتظر ريثما يرد تفصيل محاكمة مدحت باشا وسائر المتهمين وغير ذلك من التفاصيل التي ترد في حينها فيما يلي

على ان احد المؤرخين الانكليز يرتإي ان عبد

العزيز قتل نفسهُ بيدهِ واعتمد المؤرخ في زعمهِ على تقارير الطبيبين الانكليزيين الدكتور ديكسون طبيب السفارة الانكليزيَّة والدكتور ميلينجين وقد فحصا جثتهُ حيث وجدت والظاهر ان ابن محمود الكبير المملوء بالعنفوان والعظمة لم يستطع احتمال الاهانة الَّتي وجهها اليهِ رعاياهُ ولما كان قد ربي على العنفوان الشرقي لم يقدر ان يعترف بخطائهِ ولا ان يخضع لمطالب شعبهِ العادلة

والظاهر ان عبد العزيز حاول الاقتداء بابيهِ وهو محروم من ذكائه وقوتهِ الحاكمة فصار ظالمًا فما كان يعد فضيلة الشجاعة في الاب صار في الابن عنادًا وكأن حياة قاتل الانكشاريَّة كانت محروسة اما ولدهُ فمثل سائر الاحياء والغريب ان الاصلاحات الَّتي قام بها ساكن الجنان السلطان محمود اكسبتهُ اعتبار رعيتهِ حالة كون تعلق عبد العزيز بالتقليدات وابقاء القديم على قدمهِ كان السبب في سقوطهِ مع ان خطة الاول كانت اقل حظوة في اعين شعبهِ بقي ان الفرق كائن في شخصيَّة السلطانين

وقد تقرر في اذهان الطبقة العليا من الاتراك ان عبد العزيز قتل اغتيالاً وتوجهت الظنون الى مدحت باشا واعوانهِ لان بقاء عبد العزيز في الحياة وعودهُ الى الملك يلحق بمدحت ضررًا عظيماً لكن لا ريب ايضاً في ان تقرير الدكتور دكسون طبيب السفارة الانكليزيّة الذي فحص الجثة مع بعض اطباء الاتراك والاجانب افاد ان عبد العزيز مات منتحرًا الأ ان اكثر الاتراك لا يصدقون ولكن ما لنا ولهذا الآن فسيأتي الايضاح الجلي في ما يلي عند ذكر المحاكمة

موت مهري هانم

وبعد موت السلطان بعشرة ايام اعلن موت السلطانة مهري بعد ان ولدت غلاماً فان الاضطراب العظيم الذي اصابها على اثر موت زوجها ذهب بحياة هذه الفتاة الحسناء . كذا روت الخبر صحف تلك الايام. واحتفل بجنازتها في (يني جامع) وصنع نعشها من الخشب المصقول

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مرصعاً باللؤلؤ مغطًى بالكشمير الثمين وعليهِ اكاليل من الورد الزاهي وسار امامهُ العلماء ينشدون الآيات القرآنية ويلي النعش عدد لا يحصى من الباشاوات والاغاوات وكبار الرجال والخصيان يتبادلون حمل النعش وبين اولئك الرجال ضابط شاب في ملابس فرقة المدفعيَّة لم يغيّر موقفهُ طول الطريق وهو شقيقها حسن المعروف (بالشركسي) وكان قد اتصل الى مقام ياوران بمساعدة شقيقتهِ وكان في عنفوان شبابهِ اشتهر عنهُ انهُ امتاز في استعمال السلاح واطلاق الرصاص لا يخطئ مرّة في الالف وكان من اجود فرسان الزمان سبق لهُ ان اصاب بيضة موضوعة في طريقهِ وهو يركض بجوادهِ في منتهى سيرهِ وهو خفيف الجسم احمر شعر اللحية لا يقل جمالاً عن اختهِ وقد اظهر من الحزن ما استلفت اليهِ نظر الجمهور

ثم لما وضع النعش على أرض المدفن الايوبي بين التلال المكسوة بالاخضرار يعترضها وادي المياه الحلوة الاوربيَّة وارتفع هتاف العلماء وحملة القرآن مدَّ حسن

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الشركسي المذكور يدهُ الى النعش لآخر مرة بحنو الاخاء حتّى اذا وارى التراب جسد مهري قوي على شقيقها الحزن فاتكأ على شجرة والذين ابصروهُ في تلك الساعة ذكروا حزنهُ الذي ظهرت آثارهُ في الحوادث الّتي تلي

حسن الشركسي وهجومهُ على الوزارة

وبسقوط عبد العزيز وموت مهري سقط حسن الشركسي من مكانتهِ ولكنهُ بقي مجاهرًا بالانحياز لصهرهِ حتّى ان وزير الحربيّة اوجس خيفةً منهُ وحسبهُ يعمل على الثورة والقلق فادعى انهُ يرسلهُ الى بغداد بمأموريّة وهو شرف عظيم فابي حسن الرضى بها ولهذا القي القبض عليهِ ثم أطلق سراحهُ بعد ان أُخذت عليهِ المواثيق وصار على وشك الرحيل واول ما فعلهُ انهُ ركب زورقًا في البوسفور الى اسكودار حيثما كان منزل وزير الحرب في الداخليّة وهناك علم ان الوزير ذهب الى استانبول ليحضر جلسة عقدها الوزراء في بيت مدحت باشا الذي كان

Digitized by Google | Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

على وشك ان يصير الصدر الاعظم فلما علم حسن ذلك اسرع في الحال الى المدينة وكان الليل قد سدل جلبابهُ فتدجج بالسلاح الكامل واستتر بثوبهِ العسكري الكبير وسار في شوارع استانبول المظلمة حتَّى وصل الى كشك مدحت باشا الزاهي بالانوار

وكان المجلس قد التأم مؤلفاً من الصدر الاعظم وناظر الحربيَّة وناظر البحريَّة ومدحت باشا ورئيس المجلس وراشد باشا ناظر الخارجيَّة وحالت باشا كل هؤلاء النظار اجتمعوا في قاعة واسعة في الطبقة الاولى وكان في الطبقة الارضيَّة قد تجمهر اغواتهم وضباطهم وخدمهم يشربون القهوة ويدخنون وقد تألف منهم جمهور غفير لان كبار الاتراك لا تتحرك ركابهم الَّا بذيول من الخدم طويلة جدًّا . ولما كان الجميع يعرفون حسن الشركسي انهُ شقيق السلطانة وانهُ محبوب في البلاط دخل بغير مانع واقام بين الحشم لا يسيئون الظن بهِ وزعم انهُ قادم لمقابلة حسين عوني باشا حتَّى اذا انتصف الليل انسلَّ خفية فصعد الى الطبقة الثانية ومرَّ

بابواب القاعات الكثيرة حتى وصل الى القاعة الّتي اجتمع بها النظار وهناك تولى الحراسة سليم اغا الخادم الامين والرفيق المأمون لمدحت باشا فلما أشرف حسن استقبلهُ سليم اغا باكرام وقال لهُ ما الذي جاء بك الى هنا قال حسن

— انني راحل الى بغداد غدًا ولي كلام اقولهُ لناظر الحربيَّة

اجاب سليم اغا — لكن دولتهُ منهمك داخلاً في المجلس ومن يعرف متى ينتهون من جلستهم

قال حسن — ولكن يجب ان أراهُ ولا بدَّ من ذلك ولو اقمت هنا بانتظارهِ عدَّة ساعات

قال سليم اغا — اذًا انتظرني هنا ريثما انزل الى الطبقة الاولى واستشير ياوران دولتهِ توفيق بك واسأَلهُ عن طريقة لتسهيل اجتماعك بالناظر

وما غاب سليم آغا عن العيان حتّى اقترب حسن من الباب ورفع الستار ونظر الى الداخل وكان النظار حول منضدة مستطيلة وهناك حسين عوني باشا بلحية بيضاء

Digitized by Google — Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ونظر امامهُ الصدر الاعظم ومدحت باشا وسائر النظار وظهورهم الى جهة الباب ففي اقل من طرفة عين هجم حسن عليهم واطلق الرصاص على حسين عوني باشا صارخاً " لا تتحرك يا حسين عوني " وسقط الناظر جريحاً وقد اصابته الرصاصة في صدرهِ وفيما هو يحاول الدفاع عن نفسهِ ارتفع من النظار صراخ الخوف والاضطراب الاَّ ان حسن لم يهتم بصراخهم بل اطبق على حسين عوني واجهز عليهِ بيطقانهِ الماضي يبتر جسدهُ بالطعنات المتلاحقة وهو ملقًى على الارض

وفيما كان حسن يفتك بحسين عوني اغتنم مدحت باشا تلك الفرصة وهرول الى الباب الكائن في آخر القاعة المؤدي الى غرف الحريم الداخلية وتبعهُ على الاثر بقيَّة الوزراء الأ راشد باشا الذي لبث على كرسيهِ كانهُ مقيد بسلاسل حديدية لا يستطيع معها حراكاً واحمد باشا الذي كان اثبت جأشاً من الجميع فانهُ هجم على القاتل وامسكهُ بذراعين من حديد على خصرهِ ضامَّاً كلتا ذراعيهِ حتى لا

يمكنهُ مِنْ استعمال يديهِ الاَّ ان القاتل تمكن من اخراج يدهِ اليمنى بعنف وطعن احمد باشا عدَّة طعنات فاركن الباشا الى الفرار وتمكن من ذلك ولما رأى حسن ان الوزراء تخلصوا منهُ هاجهُ الغضب واستولى عليهِ جنون عظيم وقوي فيهِ الميل الى سفك الدم فاستأنف الكرة على وزير الحرب التعيس الذي بقي فيهِ بعض الحياة واخذ يطعنهُ بالخنجر طعنات متوالية ثم قطع عنقهُ ذبحاً ولما انتهى من هذا العمل أدار نظرهُ فرأى راشد باشا لا يزال على كرسيهِ وقد استولى عليهِ الخوف الى حدّ انهُ لم يستطع ان يزايل المكان فاطلق عليهِ الرصاص واصابهُ في رأسهِ فكانت القاضية وذهب شهيد الخوف ولما لم يبقَ في القاعة من يفتك بهِ هجم الى الباب الذي فرَّ منهُ الوزراء وكانوا قد اوصدوهُ وراءهم فحاول كسرهُ بيديهِ صارخاً

لا بد لي من قتل وزير البحريَّة افتحوا الباب وانت ايها الصدر الاعظم سلمني وزير البحريَّة ولا يصيبك مني شر

فاجابهُ الصدر الاعظم من الداخل بصوت المتأسف

" دع هذا الآن يا ولدي فليس هذا وقتهُ وانت في اضطراب وهياج لا يمكن معهما اقناعك

فاستشاط حسن غيظاً واطلق الرصاص على الباب ولما لم يدرك غايتهُ انقلب الى اثاث القاعة فمزّق كل شيء هناك بيديهِ واسنانهِ كالوحش الضاري ثم اشعل النار في اطراف الستائر وحطم الزجاج والمصابيح عن آخرها

وبينما كانت هذه الفظائع جارية على ماذكرنا كان مدحت باشا قد استعان بسدس الطلقات وتمكن من النزول سالمًا الى الطبقة الارضيَّة من السراي من طريق خفي وهناك أغرى ياورانهِ ان يصعدا الى القاعة لالقاء القبض على حسن فاطاعا الامر ولكن حالما دخلا القاعة سقطا على الارض جريحين برصاص حسن ويدهِ الصائبة وما لبث ان حضر الجند من المراكز المجاورة فالقوا القبض عليهِ بعد ان قتل احد ضباط البوليس وبعض انفار الضابطة ورغب الجنود ان يفتكوا بهِ للحال لولا ان مدحت باشا منعهم عن ذلك رغبةً منهُ في محاكمتهِ

Digitized by Google

Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وفي اليوم الثاني حاكموهُ وحكم عليهِ بالاعدام فاعدموهُ شنقاً على شجرة في ساحة واسعة امام السر عسكرية بحضور عدد غفير من الشريفات التركيّات اللواتي رغبنَ في حضور هذا المشهد

فصل معترض

ماذا جرى في دمشق

قبل ان أذكر تتمة ما جرى بعد الذي ختمت بهِ الفصل الاخير من هذا التاريخ اذكر بعض ما جرى في دمشق الشام من الحوادث المهمة الّتي كانت السبب في فصل مدحت باشا وهي الخطوة الاولى في سبيل القاء القبض عليهِ ومحاكمتهُ الّتي سيأتي تفصيلها

لما تولى مدحت باشا ولاية سوريا قبل ان انفصلت عنها بيروت كان متصرف لبنان يومئذٍ دولتلو رستم باشا فاراد مدحت باشا ان يقوم في سوريا بما عجز عنهُ في الاستانة واحبَّ ان يعرف اذا كان لاهالي سوريا

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

استعداد للثورة ضد الحكومة التركيَّة حتَّى اذا وجد منهم الميل الى ذلك عمد الى الاستقلال فيجعل سوريا نظير مصر ويكون هو الحاكم عليها واختار وسيلة الى ذلك ان يجمع بعض الرجال وخصوصاً بعض اخصائهِ منهم احمد مهدي افندي الايوبي وحسن فائز افندي (وهو الذي عرفتهُ في بيروت اذ تولى مأموريَّة مكتوبجي الولاية) وهما من اخصائهِ وانضمَّ بواسطتها بعض الشبَّان الاذكياء الذين لا اذكر اسماؤهم هنا بموجب طلبهم فانهم لما علموا انني انشر هذا التاريخ بعثوا اليَّ يطلبون عدم نشر اسمائهم وانا أُجيب طلبهم لان غايتي سرد الحوادث لا بيان الاسماء . وعمد الافراد الى تأليف جمعيَّة غايتها نشر اعلانات وقصد بواسطتها ان يختبر ميل الاهالي الى ما يريدهُ مدحت باشا

في صبيحة ذات يوم انتبه الناس من رقادهم واذا بالجنود في بيروت ودمشق قد تفرقوا في كل مكان قبل أن أشرقت الشمس وكلهم عيون وحيثما رأوا ورقة ملصوقة على الكنائس والجوامع مزقوها وذلك لان تلك الورقة

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

كانت القصيدة السينيّة الشهيرة وقد نشروها يومئذٍ وعليها كلمة (الموت) ومن حولها سيفان وهذه صورتها بحروفها

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس
وأسلُ الكؤوس يديرها رشأٌ كغصن البان مائس
ودع التنعم بالمطاعم — والمشارب والملابس
اي النعيم لمن يبيت — على بساط الذل جالس
ولمن تراهُ بائساً ابدًا لذيل الترك بائس
ولمن ازمتهُ بكف عداهُ — يظل وهو آئس
ولمن غدا في الرق ليس — يفوتهُ الاَّ المناخس
ولمن تباع حقوقهُ ودماؤهُ بيع الخسائس
ولمن يرى أوطانهُ خربًا واطلالاً دوارس
كسيت شحوب الثاكلات — وكنَّ قبلاً كالعرائس
عج بي فديتك نادبًا ما بين ارسمها الطوامس
واستنطق الآثار عما كان في تلك البسابس
من عزّةٍ كانت تذل — لما الجبابرة الاشاوس
وكتائبٍ كانت تهاب — لقاء سطوتها المتارس

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ومعاقل كانت تعزز — بالطلائع والمحارس
ومدائن غناء قد كانت تحف بها الفرادس
أين المتاجر والمكاتب — والصنائع والمدارس
بل اين هاتيك المروج — بها المزارع والمغارس
بل أين هاتيك الالوف — بها فسيح البر آنس
هلكوا فلست ترى سوى قفر تثور بها الهواجس
بيدٍ صوامت ليس يسمع — في مداها صوت نابس
الاَّ رياح الجو تكسح — وجهها كسح المكانس
امست خرائب لا ترى الاَّ بابصار نواكس
ضحكت زماناً ثم عادت — وهي كالحة عوابس
غضبت على الانسان واتخذت — عليها الوحش حارس
فاذا اتاها الانس راح — يدوسها دوس المخالس
هذي منازل من مضى من قومنا الصيد القناعس
دُرست كما درسوا ،وقد ذهب النفيس مع المنافس
ماذا نؤمل بعدهم الاَّ مقارعة الفوارس
فاليكم يا قوم واطرحوا — الموالس والمدالس

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وتشبهوا بفعال غيركم — من القوم الاحامس
بمصائب انفوا فجادوا بالنفوس وبالنفائس
هبت طلائعهم يليها كل صنديدٍ ممارس
تركوا جموع الترك تعصف — فوقها النكب النوامس
ملأوا البطاح بهم فداس — على الجماجم كل دائس
وخذوا لانفسكم مثال — اولئك القوم المداعس
فالترك قوم لا يفوز — لديهم الاَّ المشاكس
اولستمُ العرب الكرام — ومن هم الشمُّ المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم نارًا تروّع كل قابس
وعليهم اتحدوا فكلكمُ — لكلكمُ مجانس
ودعوا مقال ذوي الشقاق — من . . . .
ما هم رجال الله فيكم بل هم القوم الابالس
يمشون بين ظهوركم تحت الطيالس والاطالس
. . . .
. . . .
دبّت عقاربهم اليكم — بالمفاسد والدسائس

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

في كل يوم بينكم يلقي التعصب حرب داحس
يلقون بينكم التباغض — والعداوة والوساوس
نثروا اتحادكم كما نثرت من النخل الكبائس
ساد الفساد بهم — فساد الترك فيهِ بلا معاكس
قومٌ لقد حكموا بكم حكم الجوارح بالفرائس
وعدت عوادي الدهر تعر — قكم بانياب نواعس
كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع مائس
ويغركم برق المنى جهلاً وليل اليأس دامس
أو ما ترون الحكم في ايدي المصادر والمماكس
وعلى الرشى والزور قد شادوا المحاكم والمجالس
والحق اصبح عند من الف الخلاعة والخلابس
عمت قبائحهم فاضحت لا تحيق بها الفهارس
حالٌ بها طاب التبسمُ — للوغى والموت عابس
وحلا بها سفك الدماء — فسفكها للجور حابس
برَح الخفاء ومَنْ يَعِشْ يرَ ما تشيبُ لهُ القوانس

وكان لانتشار هذه القيصدة رنة في البلاد وارسلت

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

التلغرافات الى الاستانة وازداد عدد البوليس السري والقت الحكومة القبض على كثيرين من الشبان واتهمت غيرهم من الشعراء الذين لا نذكر اسماؤهم

وخلاصة ما يقال ان تركيا علمت من هذه القصيدة ان وراء الاكمة ما وراءها وهي لم يسكن خاطرها ولا امنت شر الثورة من ذلك الحين ثم ظهرت عدة اعلانات غير هذه منها القصيدة التي مطلعها

يادولة الترك اتركي عنكِ العناد وبادري الاصلاحا

واصبحت الحكومة في قلق عظيم نريد بالحكومة رجال الاستانة وافراد البوليس في دمشق. اما مدحت باشا الوالي فلا نظنهُ كان في قلق لمعرفة الفاعلين بل نشأ اضطرابهُ عن انتظار العامل ليأخذ اجرتهُ وهو بين الشك واليقين فكانت اوامرهُ تصدر مشددة الى المأمورين ان يضيقوا على الجمعيات السريّة ولكن روحهُ الحيّة كانت تنفخ فيهم نار الحياة

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

القصيدة الحائية

قلنا ان الحكومة اهتمت كثيرًا للوقوف على ناظم تلك القصيدة السينية وظهر لما ان وراء الاكمة ما وراءها وان جمعيةً مهمة تقوم بهذه الاعمال وبدأ رجال البوليس يطوفون في كل مكان وزمان واذا باعلان آخر قد انتشر ومن جملتهِ ابيات مطلعها

يادولة الترك اتركي عنكِ العناد وباشري الاصلاحا
او لا فدونكِ ثورةً تفني الجسوم وتخطف الارواحا
ماشمت من حسن الادارة بينكم الّا المدير لامرد اقداحا

ومنها

المال دينك كيف شئت سلبتهُ وال.... ربك عشوة وصباحا
فعليهم فعليهم فعليهم يا عرب شنوا غارةً ملحاحا

Digitized by Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

القصيدة الرائيَّة

وفي هذا المقام انقل للقارىء القصيدة الرائيَّة الّتي نشرتها في عدد ٢٥ من جريدتي المشير وهي من موضوع القصائد السابقة

نفير سوريَّا

يا اهل سوريَّا القساور — من كل مغفورٍ وفاخر
افترتضون صغارة — لم يرضها في الناس صاغر
عهدي بكم قوماً يذلّ — لديهم الزمن المكابر
من كل ذي فكر يدرُّ — بما تعاب بهِ الجواهر
من كل ذي قلم يصرُّ — اسى على تلك الصرائر
من كل ذي قلبٍ يسرُّ — لاهلهِ خير السرائر
من كل ذي همم تجرُّ — الى الهوان اخا الجرائر
من كل ذي خطبٍ تخرُّ — لها الرجال لدى المنابر
من كل ندب شاعر — بكلامهِ الجلمود شاعر
وبكم عشائر كلها — والله من خير العشائر

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فعلامَ انتم بائعون — المجد في سوق الخسائر
والامَ انتم هاضمون — بفعلكم كرم العناصر
امثل أعناق الاكابر — تختشي نير الاصاغر
امثل اعضاد البلاد — تخاف مصفرّ المشافر
ذاك الاكول لمعدن صلبٍ وان يك من نشادر
ماتت حقوقكم وفي احشائهِ غدت المقابر
أتقرّبون لهُ قرابينا — وذو الملكوت ناظر
ما عوّدت اجدادكم في ما مضى حمل المباخر
كلاَّ ولا عطفت اعنتهم — عن العز المحاقر
كلاَّ ولا امتدت رقا بهمُ الى غير المفاخر
ايامهم كانت بهم تزدان غرّاناً سوافر
ظعنوا ولكن ذكرهم حيٌّ ومثل المسك ذافر
لا غروَ ان شقت لدن ذكراهم كل المرائر
ما عرّضوا الوطن العزيز بما توخوا للمخاطر
لم يجعلوا الرتب الخطيرة مثلكم رهن المتاجر
فتصيروهم يا بني وطني بعزم غير فاتر

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

أفلم يكُ لم خوا طر مثلما لكم خواطر
انتم فروعهم وما فرعٌ لغير الاصل صائر
تثقون أنَّ هواءكم كهوائهم لا ريب عاطر
ومياههم كمياهكم كانت تسيل من المفاجر
وسماؤهم كسمائكم شرع تضيء بها الزواهر
ان قلتمُ انقلب الزما ن فما بدا لكم معاذر
فالدهر دهرٌ للاوا ئل مثلما هو للأواخر
لكنما انقلب البنو ن فعزمهم ذا اليوم خائر
فالفرق بين الاوليـ ن وبينكم كالصبح ظاهر
لا تفكروا اني احضكم — على حمل البواتر
فعدالة السلطان مو لانا تكسر كل باتر
وتدقُّ عزمتهُ الرقا ب وتستثار بكل ثائر
أفما علمتم أنهُ للحق غواث وناصر
فاشكوا لهُ الحيف الثقيل — ولا تبالوا بالزواجر
فهو الموازر من شكا هُ والمعاقب كل وازر
ولدى التظلم عندهُ سيَّان مأمور وآمر

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

هو والحقيقة مطمحٌ في كل آنٍ للنواظر
الفخر لا يلقى بعظمٍ — في رغام الارض ناخر
لكنهُ يلقى بعزمٍ — في سماء المجد طائر
هذا المشير لخدمة الا — وطان والمظلوم حاضر
واليكم يا ناظمون — بشدّ راحلتي اباكر
ابغي مغادرة التشبب — في مضفرة الغدائر
وقلاكم الرشأ الغرير — وكل طائفة الغرائر
وتسابقوا لمديح من لنجاة موطنهِ يبادر
واليكم مني السلام — مع الزعازع والصراصر
وهنا أوائل قافياتٍ — لا يكون لها أواخر

القصيدة البائيّة

ومن جملة القصائد قصيدة بائيّة من نظم احد مشايخ المسلمين الاعلام لم أقف عليها بتمامها وهي

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ
فقد طمى الخطب حتّى غاصت الركبُ

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فيمَ التعلل بالآمال تخدعكم   وانتمُ بين راحات الفلا سلبُ
لا دولة لكمُ يشتدُّ ازركم   بها ولا ناصرٌ للخطب ينتدبُ
وليس من حرمةٍ او رحمةٍ لكمُ
تحنو عليكم اذا عضتكمُ النوبُ
اقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين ايدي الترك مغتصبُ
فليس يدرى لكم شأن ولا شرف
ولا وجودٌ ولا اسمٌ ولا لقبُ
فيا اقومي وما قومي سوى عربٍ
ولن يضيّع فيهم ذلك النسبُ

الى ان يقول

سنطلبنَّ بحدّ السيف مأربنا   فلن يخيب انا في جنبهِ الاربُ
ونتركنَّ علوج الترك تندب ما
قد قدَّمتهُ أياديها وتنتحبُ
ومن يعش يرَ والايَّام مقبلة
يلوح للمرء في احداثها العجبُ

القصيدة الطرابلسيَّة

وفي هذا المقام أذكر القصيدة الطرابلسيَّة الشهيرة الَّتي نشرتها في عدد ٣٠ من جريدتي المشير لاحد مشاهير العلماء الاعلام من سلالة النبي الكريم كما يظهر من ابيات الفخر الَّتي ختم بها قصيدتهُ قال

اعرني طرف زرقاء اليمامه ... لابصر ما ورا هذي الغمامه
تكاثف عتمها طولاً وعرضاً ... كان الليل قد أرخى ظلامه
فلما أن بصرناها رأينا ... هنالك هيكلاً فظ الجسامه
علمنا أن شيطاناً مريداً ... اتانا قاضياً يبدي احتكامه
اتى متلبساً برداء فقر ... ينفض عن جوانبهِ قتامه
فاضحى يستدين وليس يوفي ... وان طالبتهُ نقبض خصامه
ومن أدهى المصائب ان تمادى ... بجنتهِ ويحسبها صرامه
ويوهمنا العدالة وهو منها ... بريءٌ بل عدو الاستقامه
فلا يدري بشرع او نظام ... فليت يد البلا نثرت نظامه

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فكم التقى دعاو في مهاو غطست وراءها تسعين قامه
فلم أسمع لها الاّ انيناً نقول اصبر فموعدنا القيامه
يريك بأول الامر التزاماً لحاجتك التي ترجو التزامه
ومذ تملا لهُ كفّاً وجوفاً وتشفي لا شفى المولى أوامه
يفيك الوعد قولاً ليس فعلاً وآخر قولهِ ينسي كلامه
وان فكرتهُ بالامر أرغى وازبد واستحقيت انتقامه
وقد تستعبد الاطماع حرّاً فكيف بناكب شدّت حزامه
اذا نهق الحمار على عليق فلا تحسبهُ اذّن للامامه
فقل لجنابهِ عني حديثاً رواهُ عن النديم ابي دلامه
. . . . مه

الى ان يقول

على اني فتىً سيّان عندي زئير الاسد او شدو الحمامه
وان أحببت معرفتي فاني انا ابن جلا وقد وضع العمامه
وقومي من بنوا فوق الثريا بيوت علىً لها الزهرا دعامه
وداسوا هامة الافلاك عزّاً بمن عزّت بموطنهِ تهامه
اجاويدٍ تسود على ايادٍ يقبل نعلها كعب ابن مامه

يفرّق طفلهم شمل العوادي ولم يبلغ من الدنيا فطامه
يرنّ للندى عطف ارتياح وما احلى لدى الهيجا اقتحامه
اذا ما شاء يعبث بالثريا تناولها على طرف الثمامه
وشيمتنا التواضع عن علاء بهِ ثغر العلا يبدي ابتسامه
فانّى يبلغ العادي ورائي الى غرضٍ اعدَّ لهُ سهامه
وحبل الله معتصمي وحاشا يخيب فتًى ادام بهِ اعتصامه
ومثلي لا يروم بدار دنيا سوى ان يحسن المولى ختامه

حادثة في دمشق الشام

امَّا كيفيَّة وقوفي على هذه الحادثة فكما يأتي :

في عام ١٨٨٧ ذهبت لاول مرَّةٍ الى دمشق واقمتُ فيها نحو ثلاثة اشهر عرفت في غضونها عائلة من الاوساط مؤلفة من ارملة وابنتين لها في سن الصبا وقد لبسنَ ثياب السواد حدادا وعلمت من الارملة ان وحيدها مات في ريعان الشباب وكان من الشبان المتهذبين ولهُ سمعة حسنة وعلاقة مهمة مع أولياء الامر ففي ذات يوم زرتُ

تلك العائلة فلم تكن الابنتان هناك وكانت والدتهنَّ الارملة في شغل شاغل فاقمت برهة لاستريح في الغرفة الداخليَّة وفيما انا الهو بالتفكر اذ أصابت رجلي شيئًا تحت المجلس الذي كنت عليهِ فرفعت الستار واذا هناك صندوقة ملؤها اوراق قديمة ودفاتر صغيرة فتناولتُ منها دفترًا ولم اقرأ من الدفتر الَّا بضعة اسطر حتى صرت ارتجف واسأَل الله ان لا تحضر الابنة وان لا ينتهي شغل الوالدة لانني احببت الانفراد بذلك الدفتر الصغير لاستوعب ما فيهِ من الامر الكبير وحدثتني نفسي ان أسرقهُ لكنني عدلت فنسخت منهُ بضعة سطور وما انهيتها حتى سمعت وقع اقدام فأرجعتهُ الى مكانهِ ودخلت الفتاة الكبيرة فسأَلتها عما في الصندوق قالت وقد تورّد خدها

انها يا سيدي أوراق المرحوم اخي لم نطالع عليها منذ وفاتهِ لان النظر اليها يجدّد احزاننا ولم نمزقها لان والدتي تحب ان لا تذهب ورقة من آثار المرحوم وهكذا بقي هذا الصندوق في مكانهِ منذ وفاة أخي

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فنصحت لها ان تمزق ما فيهِ وتحرقهُ وانبأتها ان الاوراق المذكورة تتضمن الاخبار والاسرار التي لو وقفت عليها الحكومة ما ابقت من ينفخ بنار والحقتم الضرر بغيركم من الرجال لان تلك الاوراق تتضمن تقارير واخبار جمعيةٍ سريةٍ كانت في دمشق على عهد مدحت باشا

وهكذا ذهبت تلك الآثار التاريخيَّة ولم يبقَ منها الاَّ القليل الذي ادونهُ في هذا التاريخ . وما يأتي مع القصيدة السينيَّة الشهيرة هو كل ما انتشر مطبوعاً من آثار تلك الحركة العظيمة.قال الشاب في مذكرتهِ ما مؤداهُ :

اول امس عقدت جمعيتناجلسة أُولى في منزل احمد م افندي الا . . . (وهو المعروف انهُ كان من اخصاء مدحت باشا ورفيقهُ حسن فائز افندي الجابي الذي كان تولى مراقبة جرائد بيروت من اعوام) وقررت ان يعهد اليَّ امر نشر الاعلانات وأخذت عليَّ العهود والمواثيق المنصوص عليها في مادتي ١٠ و١٥ من قانون الجمعية الاساسي واهمها ان اقسم اعظم الايمان انني اقتل نفسي

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

حالما يوشك البوليس القبض عليَّ بينما انا الصق الاعلانات خوفاً من ان ضعف الطبيعة البشريَّة يحملني على افشاء الاسرار متى صرت في قبضة ايديهم فتعرف اسماء الاعضاء

وفي المساء نحو الساعة العاشرة افرنجيَّة اخذت الاعلانات واسفنجة ووضعت في جيبي مسدس الطلقات وخرجت الى الشوارع اترصد سكونها وخلوها من الناس وكنت الصق الاعلانات في كل مكان يمكن الانفراد فيهِ وبقيت على هذه الحال إلَى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ولم يبقَ معي الاَّ نسخة واحدة فجلست في دكان العصرونيَّة قرب باب البريد اتناول شيئاً منعشاً ثم اسرعت الى العطفة الكائنة بين العصرونيَّة والجامع الاموي وعلقت الاعلان الاخير وما فرغت من ذٰلك حتى رأيت البوليس فوضعت يدي في جيبي احترازاً وتقدَّم اليَّ احدهم وقال ماذا تفعل هنا قلت انني ذهبت لاودع ي . . افنديا·

قال وكيف عدت الآن وهل كنت وحدك من المودّعين قلت انما رجعت لانني انتظرت مدَّة حتَّى ذلب

عليَّ النعاس قال الشرطي عد معنا لنتبين صدق قولك فرجعت معهم وسرنا الى ناحية المرجة حيث قومبانيةّ الداليجانس وقد هيأت نفسي الموت اذا لم يتيسر لي الخلاص فلما وصلنا عند اول ساحة المرجة اذا بجماعة من اصدقائي قد اقبلوا علينا فلما رأوني صاح بي احدهم ويلك يا هذا لماذا لم تودع صديقنا فأبديت عذري ثم نظرت الى الشرطي وقلتُ هل كفاك هذا البرهان وهكذا انصرف وبقيت سالمًا وهي آخر ليلة قضيتها في تعليق الاعلانات .

انتهى

فيظهر للقارىء مزيد تحفظ تلك الجمعيةّ ورجالها واني لا اتعجب من فشلها فانها لو وجدت اليوم كانت اقرب الى النجاح لان الافكار تهيأت للتحرك والامة صارت تشعر بالحاجة الى العمل وليس على الله امر عسير

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

﴿ محاكمة مدحت باشا ﴾

بعد ان ننتهي من سرد محاكمة الذين قتلوا السلطان عبد العزيز نعود الى الكلام عن السلطان مراد وتفاصيل خلافتهِ القصيرة وما يلي ذلك من اسقاطهِ وتولي جلالة السلطان الحالي

في ١٦ يوليو عام ١٨٨١ جاءت الاخبار باثبات الحكم على المتهمين بقتل السلطان عبد العزيز وصادق مجلس التميز على حكم دائرة الحقوق بدون أدنى استثناء وفي ٢٧ جون اعلنت جريدة (الوقت) رسميًّا أن محاكمة القوم تجري علنًا فيحضرها الذين حصلوا على أوراق الدخول وعقدت اول جلسة في اليوم المذكور وترأسها سروري افندي والقضاة ثلاثة وحضرها بعض السفراء وكبار رجال السلطنة وبدأت الجلسة الساعة الحادية عشرة فقرأ الكاتب أوراق الدعوى فاقتضى لذلك ثلاث ساعات وتلك الأوراق تطلب اجراء منطوق البند

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

١٨٤ من قانون الجزاء على الذين حملوا القتلة على ارتكاب القتل وهم محمود جلال الدين باشا ونوري باشا ومدحت باشا ومحمد رشدي باشا وخير الله افندي والسلطانة والدة مراد

واجراء البند ١٧٠ على المتهمين باجراء القتل فعلاً وهم فخري بك ومصطفى البهلوان ومصطفى الجزائرلي والحاج احمد اغا ونجيب بك وعلي بك وسعيد بك ورضا بك. ثم شرع الرئيس في استنطاقهم فاعترف بعضهم وانكر البعض الآخر ثم حضر الشهود وقدموا شهاداتهم وفي الساعة ٧ بعد الظهر انفضت الجلسة . هذا مجمل ما جرى واليك التفصيل

وردت العربات تحمل جماهير الحضور الى الجلسة الاولى وكان بجانب حرس ذلطة صيوان كبير جرت فيه المحاكمة وفي صدر المكان منضدة مغطاة بالجوخ الاخضر وكرسي الرئيس وكراسي القضاة كلها مذهبة وعند طرف المنضدة الشمالي اقام الكاتب. والى اليمين الناظر العام ووراء كرسي الرئيس بجانب الكاتب والناظر العمومي كانت

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

النوافذ الخاصة لدخول الضباط والشهود وخروجهم وتجاه المجلس قبالة المنضدة ترتب المتهمون وقد فصلهم عن المجلس حاجز وصفٌّ مزدوج من الجندرمة ووراءهم كراسٍ من القش

وكان عن يمين الناظر العام كراسٍ لجلوس الشهود بعد تأدية شهادتهم وعن يسارهِ منضدة تطرح عليها اوراق الدعوى وعلى منضدة أُخرى قريبة من المجلس وضع القرآن الشريف مغطًّى بالجوخ الاخضر والانجيل المقدس والتلمود لاجل القسم

وترتبت مائدة للطعام والشراب يرجع اليها الحضور كلما وقفت الجلسة برهة للراحة

وكان من جملة الحاضرين سعادة محسن خان سفير دولة ايران وبعض رجال السفارة وكتبة اسرارها ووكيل الصرب ومنيف باشا ناظر المعارف واغوب افندي ناظر الخزينة الخاصة والمسيو فسطر مدير البنك العثماني وتراجمة جميع السفارات.ودام الانتظام حتّى بدأَت الجلسة الساعة

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الحادية عشرة وتألفت الهيئة من سروري افندي رئيس جميع دوائر الاستئناف وكرستوفوريدي افندي رئيس دوائر الجنايات وحسن بك وامين بك وطاقور افندي وصاحبي افندي القضاة

وعلى كرسي النظارة العمومية لطيف بك المدعي العمومي في دائرة الاستئناف وبعد نصف ساعة أحضروا أولاً مصطفى البهلوان ومصطفى الجزائرلي والحاج احمد اغا ونجيب بك وعلي بك ونخري بك وسعيد بك ورضا بك ثم احضروا نوري باشا ومحمود جلال الدين باشا صهر الحضرة السلطانية واعلن الرئيس افتتاح الجلسة واخذ في استنطاق المتهمين الذين صرحوا جميعاً باسمائهم والقابهم ووظائفهم ثم قدم الرئيس النصائح الكافية الذين تولوا المدافعة عن المتهمين وهم الافوكاتية رفيق افندي وشهري افندي وعزت بك ومحمد علي افندي وقسطاسي سرتسكي افندي وامر الرئيس بتلاوة الرسوم بالاستنطاق والاوراق فتلاها عمر الله افندي باشكاتب الدائرة ولما كانت طويلة

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

استغرقت ثلاث ساعات ساعده على تلاوتها بعض كتبة الدائرة وهم رضا بك وشاكر بك وتحسين افندي وغيرهم وهذا ملخصها

انهُ بعد تنزيل السلطان مراد وجلوس السلطان عبد الحميد على العرش عوّل على ترتيب نفقات السراي وعليهِ بحث عن امر المعاشات فوجد ان ثلاثة اشخاص من مأموري آخر درجة لهم مائة ليرة كل شهر فطلب الاستعلام عن ذلك فتبين لهُ ان المعاش المذكور ترتب لهم جزاء قتلهم المرحوم السلطان عبد العزيز ولما سئلوا عن ذلك اعترفوا الاعتراف التام ان محمود جلال الدين باشا صهر الحضرة السلطانيّة ونوري باشا صهرها ايضاً هما اغريا مصطفى البهلوان والحاج احمد اغا على قتل السلطان واعطاهم محمود باشا التعليمات السريّة الّتي ابداها ايضاً نوري باشا وطلب منهم الكتمان باجبارهم على ان يقسموا اعظم الايمان وهذا القرار قرّت عليهِ لجنة تشكلت من محمد رشدي باشا الصدر الاعظم ومدحت باشا وحسين عوني باشا وخير الله افندي شيخ الاسلام وتقرّر من

الاستنطاق ان هذه اللجنة كانت تقصد استئصال جميع الاسرة الشاهانيّة وعليهِ ارسلت اللجنة المذكورة تدعو هؤلاء الامراء الى مأدبة في المحل الكائن في اعالي بيك الاَّ أن الامراء لما شعروا بالمكيدة لم يحضروا المأدبة المذكورة الّتي اقامها محمود جلال الدين باشا

ولاجل هذه الاسباب كلها فالنظارة العموميَّة تلقي على المتهمين محمود جلال الدين باشا ونوري باشا ومدحت باشا وخير الله افندي والسلطانة والدة مراد الذنوب المشار اليها في البند ١٧٤ من قانون الجنايات بالاعمال الشاقة الى امد وعلى السلطان مراد الذنوب نفسها على انهُ معذور بسبب خلل حالتهِ العقليَّة وعلى المتهمين فخري بك ورفاقهِ بالذنوب المقرَّرة في البند ١٧٠ من قانون الجنايات وعقاب القتل

وبعد ان تمت تلاوة الاوراق المذكورة لخص سروري افندي الدعوى وشرع في استنطاق المتهمين فاستنطق اولاً مصطفى البهلوان

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

قال مصطفى ان محمود جلال الدين باشا استدعاني اليهِ وعين لي انا ورفيقي مصطفى الجزائرلي ١٠٠ ليرا عثمانيةً كل شهر لكلّ واحد منا اذا قتلنا السلطان عبد العزيز بفتح عرق من عروقهِ بموسى حادة هيأها لنا ثم ان جلال الدين باشا استدعى نوري باشا الذي اوصاهما التوصية نفسها وكرر عليهما اوامر محمود جلال الدين باشا قائلاً يقتضي التخلص من السلطان عبد العزيز وطلب منا كتمان السرّ فأقسمنا ان نكتم الامر واعطى كلاً منا ٣٠ ليرا علاوة على الراتب الشهري ثم ان الضباط نجيب بك وعلي بك ادخلا مصطفى بهلوان ورفاقهُ مع ٤ خصيان الى مقر السلطان عبد العزيز بعد ان قضوا ليلة بتمامها في حرس كوي الملاصق مقرّ السلطان عبد العزيز وتم قتلهُ بادارة فخري بك الذي امسك السلطان من كتفيهِ بينما قبض على ساقيهِ مصطفى الجزائرلي والحاج احمد اغا منعاً للحركة فتقدم مصطفى البهلوان وقطع اوردة ذراعيهِ وكان علي بك ونجيب بك يحرسان الدائرة ولما تمّ القتل

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

نقلت الجثة بما حولها من الامتعة الى قهوة وجاق الحرس حيث طرحت على حصير

فقال الرئيس — اصحيح ما يقال من ان السلطان كان لايزال حيًّا بعد ما نقل إلَى الحرس

مصطفى البهلوان — لا اعلم على اني اظن انهُ شبع موتًا

وقرَّر الحاج احمد اغا ما ينطبق على تقرير رفيقهِ . اما المتهم مصطفى الجزائرلي فخالف ما كان قد قرَّرهُ اولاً وقال ان نوري باشا لم يأخذ عليهم الايمان ان يقتلوا السلطان وان يكتموا السر وانما اوصاهم ان يخدموا السلطان المخلوع احسن خدمة وان يحافظوا عليهِ كثيرًا وقال الجزائرلي انهُ اسرع في الحال لخدمة السلطان الذي انتحر في الغد

الرئيس — ألم تشترك مع رفاقك في قتلهِ

كلاَّ بل كنت في الطابق الاسفل ثم سمعت جلبة فاسرعت الى فوق مع سواي وهناك علمت بما جرى

الرئيس — قد اختلف اقرارك الآن عنهُ في السابق

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

– اخطأتُ فيما قلتهُ اولاً والحقيقة انني سمعت الضوضاء فحسبت ان النار شبت في السراي واسرعت فقالوا لي ان السلطان قتل نفسهُ. ثم احضروا المتهم فخري بك فقصّ على الجلسة ما جرى عند خلع السلطان عبد العزيز ونقلهُ الى سراي طوب قبو واقامتهُ فيها بعد ان أُرسل تذكرة الى السلطان مراد في سراي چيراغان قال وما دَخَل السلطان المخلوع الى هذا المكان حتّى بدأَ يظهر علامات الجنون ورأى حفرة في الحديقة لتذويب الكاس فخاف خوفاً عظيماً وقال هذه شؤمٌ عليَّ ثم سمع دويّ المدافع فقال ان الشعب انقسم الى حزبين من اجلهِ وكان يكرّر القول "انني سأموتُ قتيلاً كما قتلوا السلطان سليم" ورأى بعض الجنود يدخنون السجاير تحت نوافذ السراي فاخذ يشتمهم ويوبخهم لانهم كفروا احسانهُ ثم رأى دارعة تكاد ترسو بجانب القصر فصاح انهم ينوون اطلاق القنابل عليَّ قال المتهم واذ ذاك دُعيتُ الى حرس اورطة كوى فوجدتُ نجيب بك وعلي بك فاخبراني ان

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ثلثة اشخاص يدخلون الى سراي السلطان بارادة شاهانية لاخراج شيء منها . فعارضتهم اولاً ثم اذعنت وهكذا دخل الاشخاص الى داخل السراي اما انا فرجعت الى السلطان عبد العزيز واعراض الجنون تزداد وكان يتوهم ان سقف السراي يحترق وانهم اشعلوهُ عمدًا ثم امر ان يؤتى بمقراض ومرآة ليزين لحيتهُ وكنت قد امرت الحرس ان لا يعطوهُ شيئًا لكنهم اعطوهُ ما طلب فانزوى في مخدعهِ بعد ان قفل بابهُ وكانت هناك امرأة من حاشية والدة سلطانة (هي مهري هانم) فارادت ان تنظر ما يفعلهُ من النافذة ولما لم تتمكن من ذلك صاحت باعلى صوتها فهرولتُ الى الدائرة ورأيتهُ مطروحًا على الارض مضرجًا بدمهِ

الرئيس — كان سيف السلطان سليم عند جلالتهِ وانت اخذتهُ

— نعم لكن وضعتهُ مع الامتعة الاخرى المطلوبة بارادة شاهانية

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الرئيس — لمن اعطيت السيف وكيف سلمتهُ

— اعطيتهُ لاحد رجال الحرس وسلمتهُ من النافذة

الرئيس— من هو هذا الحارس

المتهم — لا اعرف اسمهُ

الرئيس — شاهدوك مساء يوم القتل تحدث في قاعة الحرس مع الباشوات جلال الدين وحسين عوني ونوري

— المتهم استدعوني ليكلموني عن الخدم

— لمن سلمت السيف . — لا اعرف الشخص

— لا يعقل انك تسلم السيف لشخص لا تعرفهُ

ثم استدعي الضابط نجيب بك المتهم وهو رئيس حرس الباب الذي يشرف على الرصيف فانكر الاشتراك في العمل واكد ان السلطان انتحر

وقال علي بك انهم فوّضوا اليهِ المحافظة على الامتعة المأخوذة من السراي وانهُ ذهب في ليلة الحادثة الى سراي طولمه بغجه حيث اعطاهُ المابينجي سلسلة ذهبيّة وساعة وعاد الى مقرّ السلطان المخلوع ومعهُ ٣ خدم و ٤

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

خصيان ارسلوا بارادة السلطان مراد وقرّر انه قضى تلك الليلة براحة ولما اصبح الصباح سمع جلبة فتيقظ واسرع الى الناحية فرأى ما هناك من الارتباك وعلم ان السلطان انتحر

الرئيس — بعض رفاقك المتهمين نظيرك يقولون انك كنت على الباب ساعة ارتكابهم جريمة القتل

المتهم — هذا غير صحيح . وفي هذه الساعة تقدم كريستوفوريدس افندي وتولى ادارة المحاكمة فقال لمحمود باشا

بعد جلوس السلطان مراد على العرش تشكلت لجنة في السراي بارادة السلطان واقتضى امرهُ ان يجري كل شيء بادارة ومعرفة هذه اللجنة فهل كنت انت عضواً منها

— لا علم لي بوجود هذه اللجنة ولم اكن منها وفي اليوم الثاني لجلوس السلطان مراد توجهت الى السراي فاجبروني على قبول احدى النظارات وفي اليوم الثاني اقمت في السراي ولا علم لي بهذه اللجنة

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

— ان ادهم افندي ونوري باشا قالا غير هذا

محمود — ليسا بصادقين اذًا

— لما نقل السلطان عبد العزيز الى سراي طوب قبو فوّض اليك ان تنقل امتعتهُ وان تحافظ عليهِ فانت الذي اقمت تحرسهُ مع الضابطين نجيب وعلي

— كلاَّ انهُ لم يعهد اليَّ حراسة السلطان المخلوع

— اين كنت ليلة القتل

— في داري بالفندقلي ثم توجهت الى محمد رشدي باشا

— محمد رشدي باشا يكذبك وليلة القتل قبل ارتكابهِ بساعة شاهدوك في الحرس تتكلم مع فخري بك ونجيب وعليٍ

— كلاَّ

— ولكن عدد الشهود كثير جدًّا (يذكر اسماءهم)

— يكذبون جميعاً

ك افندي — عند نقل امتعة القبطان رآهم شاهدك تكسر صندوقاً دهانهُ اخضر

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

محمود باشا — حدث للصندوق ضرر اثناء نقلهِ

— هل توجهت الى هناك عند ما علمت الحادثة

— كلاّ . — كيف عرفت التفاصيل

— من الجرائد . الرئيس يسأل نوري باشا

— من سماك ماريشال السراي . — السلطان مراد

— بعد جلوس السلطان مراد تشكلت لجنة في السراي فمن تألفت

— من محمد رشدي ومحمود جلال الدين ومدحت وحسين عوني وخير الله افندي وانا

— ما هي مأموريَّة هذه اللجنة

— كان لا بدَّ من عرض جميع الاشغال عليها ولا يجري شيءٌ بدون رأيها وذلك بموجب ارادة سلطانيَّة

— من أرسل الاشخاص الثلاثة الى مقر السلطان

— اتى بهم المابينجي سعيد باشا بامر السلطان ولما كنت رئيس السراي كان لا بدَّ من مخابرتي فارسلتهم لخدمة السلطان المخلوع واوصيتهم ان يكونوا امناء

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

– هل اعطيتهم تعليمات سرية

– كلاَّ . انني استقبلتهم في مخدعي بحضور عدد غفير وكلمتهم بصوت عال (وهنا ذكر اسماء الحاضرين)

– لكن مصطفى الجزائرلي يقول خلاف هذا انك طلبت منهم الكتمان بل اخذت عليهم الايمان

– غير صحيح . – هل توجهت الى محل ارتكاب الجرم

– نعم وذلك حالما علمتُ ان السلطان جرح نفسهُ واستدعيت ماركو باشا طبيب السلطان المرحوم وغيرهِ من الاطباء وبعد الفحص رفعوا تقريرهم امَّا ماركو باشا نخاصم الاطباء لانهُ رفض التوقيع على التقرير

عند ذلك تقدَّم محمود باشا وكذَّب نوري باشا قائلاً

– انهُ لم يعرف شيئاً من امر تشكيل اللجنة

ك افندي – ولكنك اعترفت انك انت الذي اوصى نوري باشا بمصطفى البهلوان

– انما رأيت مصطفى منذ ١٥ سنة وفي ذلك العهد اوصيت بهِ ولكنهُ لم يخدمني ولا تردَّد عليَّ

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وعند ذلك استدعي مدحت باشا فدخل ثابت الجنان يحمل بيدهِ مفكرات ودفاتر ووقف في موقف سائر المتهمين وكان لدخولهِ تأثير عظيم على الجلسة ووقف متكئاً على كرسي امامهُ وقفة خطيب

فقال الرئيس

— ان الكاتب يتلو عليك الآن ما يتعلق بك في اوراق الدعوى

فانتصب مدحت باشا ونظر الى هيئة المجلس فامتدَّت اليهِ الاعناق وطوَّقتهُ الابصار فقال

قبل ان اسمع ما تضمنتهُ تلك الاوراق يليق بي ان أقول انني اعدُّ نفسي سعيدًا جدًّا اذ دعيت لابرّز نفسي امام جلسة علنيَّة . وفي الوقت نفسهِ يجب عليَّ ان امتدح غيرة المأمورين بالقضاء وحسن مساعيهم الذين رغبوا ان يقوموا حق القيام بما يجب عليهم بمقتضى مأمورياتهم فتصرفوا بشيء من التسرع وقاتل الله العجلة فان عليها يسافر الصواب فرأيناهم اصدروا حكمهم قبل ان يقضوا على

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

انني لا استطيع الامتناع عن تقديم واجبات الاكرام لشمائل العدل التي اتصف بها عظمة السلطان فتنازل واراد ان يكشف النقاب عن هذه المسألة في محاكمة علنيّة وهي ايها الناس خطوة عظيمة في سبيل الحريّة . ثم شرع الكاتب في قراءة مرسوم الاحالة واوراق الدعوى فقاطعهُ مدحت باشا وقال

قبل أن أسمع ما في هذه الاوراق يليق بي . . . .

فقاطعهُ كريستوفورس افندي وبين لهُ ان ارادة المحكمة من متعلقات الرئيس لا من متعلقات المتهم ثم اجاب مدحت باشا على سؤال ك افندي . انهُ لا علم لهُ بوجود اللجنة وانهُ لا يعرف في ذلك الحين الاَّ بوجود مجلس الوزراء الذي كان وحدهُ يدير الامور وانهُ كان من جملة الوزراء لكنهُ لم يعطِ امرًا بقتل السلطان السابق

الرئيس — من امر ان يؤخذ من السلطان المخلوع سيف السلطان سليم

— هل بعد الخلع

— نعم

— حالما نقل السلطان الى سراي طوب قبو صدر الامر ان يبعد عنهُ كل سلاح على سبيل التحوط فقد خشي ان يعتدي على حياتهِ

— متى علمت عن وفاة السلطان

— يوم الاحد . وكنت قد توجهت الى الباب العالي لاحضر جلسة عتيدة ان تعقد فوصلت ولم اجد احدًا فقيل لي ان المستشار سعيد افندي وحدهُ هناك فدخلت القاعة لاسأل عن غياب الوزراء فاخبرني سعيد افندي بما جرى وقد كدَّرني ذلك كثيرًا خصوصاً اذ خطر لي ان الناس يرمون الآخرين بالتهم

— ولكن سعيد افندي يكذبك

— ليس لتكذيبهِ اهميَّة فقد بارحتُ الباب العالي فلما مررتُ على طولمه بغجه عرجتُ على حرس اورطه كوى حيث كان هناك لفيف الوزراء وجمهور من العلماء وغيرهم من اهل المناصب و١٩ طبيباً وجميعهم مع فخري

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

بك قالوا لي ان السلطان المخلوع قتل نفسهُ فصدَّقتُ نظير سائر الناس

— قالوا انهُ ما عدا الجراح الّتي كانت في ذراعي السلطان وجد جرح فوق ثديهِ الايسر وآثار أُخرى شديدة تدل على الاغتصاب ولما كنتُ وزيرًا كان من اهم واجباتك ان تأمر بالفحص

— اذًا القوا عليَّ المسؤُوليَّة لهذا السبب وجب ان تلقى المسؤُوليَّة ايضًا على سائر الوزراء ولكنني لا أَراهم بجانبي في هذا الموقف فيقاسمونني المسؤُوليَّة لعدم اصدارنا الامر بالفحص

— هل بدت من السلطان المخلوع اقلّ اشارة تدل على الحياة عند ما نقلت جثتهُ الى الحرس

— لا علم لي

ك افندي — محمَّد رشدي باشا يقول غير ذلك

مدحت — ذلك ممكن وقد قرَّر محمَّد رشدي امورًا أُخرى كثيرة

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ك افندي — يرغب المجلس ان يستفهم منك عن امر آخر . فما هي الاسباب الّتي حملتك على الالتجاء الى قنصليّة فرنسا

مدحت — تحتاج هذه الحادثة الى تفصيل . فاعلموا انهُ وردت لي تحارير من الاستانة تعلمني بكل ما كان يقال في حقي وذكرت فيها التهمة الّتي اتهموني بها في ظروف لا يطمئن لي بها بال وفي صباح احد الايام رأيتُ حسن بك معاون الحضرة السلطانيّة قد وصل الى ازمير فاتى في الحال الى القوناق واخذ في مراسلة السراي برسائل رقميّة (شيفرة) فاخبرني بكل ذٰلك البوليس السري الذي كنتُ قد شكلتهُ وعلمتُ للحال ان المؤامرة ضدّي قد بدأت وفي غضون ذٰلك علمتُ بوصول مأمور عسكري وهو علي بك رجل من فطرة چركسلي حسن وزعم انهُ جاء ليترقى الى رتبة كولونل لكن لباسهُ الرسمي لم ينجز بعد فجاء الى ازمير بدون ثوب رسمي واخذ يطعن عليّ ويقذف في حقي ناسباً اليّ عدّة امور تخطر لي ان

الى القبض عليهِ ولكنني لم أفعل وعند ذلك بلغني ان في نيتهم القبض عليَّ وفي تلك الليلة نفسها احدق بمنزلي نحو ثلثة آلاف جندي فخشيتُ ان انا خرجتُ اسقط في ايدي رجال علي بك المذكور ولهذا خرجتُ من باب البستان وركبتُ اول عربة رأيتها وسرتُ الى الحيّ الاوربي واول باب مفتوح عرض لي كان باب قنصلاتو فرنسا فدخلتهُ للحال

ثم ان مدحت باشا دحض التهمة الّتي توجهت اليهِ من ان الباب كان مثقوباً عمدًا منذ ايام لهذه الغاية وان العجلة كانت مهيأة ايضاً منذ ايام

وهناك توقفت الجلسة

وعند استئنافها اخذت في استماع شهادات الشهود الذين لا يحصى عددهم

وفي ٢٩ منهُ اجتمع المجلس وتلي طلب المدَّعي العمومي وقرار المجلس الحاكم على مصطفى البهلوان والحاج محمد ومصطفى الجزائرلي ونخري بك بارتكابهم القتل وعلي محمود

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

باشا ونوري باشا وعلي بك ونجيب بك وسعيد بك وعزت بك انهم شركاء الارتكاب وبعد الدفاع من المحامين قال بعضهم انهم يميزون الحكم وقال البعض الآخر انهم يسلمون امرهم لمراحم الذات الشاهانية وطلب محامي محمود باشا تخفيض القصاص

ثم انفرد المجلس للمداولة وعاد فحكم حكماً قطعياً على البهلوان والحاج عمر والجزائرلي وفخري بك ومحمود باشا ونوري باشا وعلي بك ونجيب بك بالقتل توفيقاً للبند ١١٥ من القانون العثماني وعلى سعيد بك وعزت بك بالسجن ١٠ سنوات والاشغال الشاقة وهذا الحكم باتفاق الآراء اما الحكم على الباشاوات فكان بالاكثريَّة وهكذا اخرجوا جميعاً ثم صدر الحكم على مدحت باشا بغياب سروري افندي رئيس الجلسة الذي غاب لخلاف طرأ بينهُ وبين مدحت فلاجل رفع الشبهة خرج سروري افندي من المجلس ودخل مدحت فتلي عليهِ طلب المدَّعي العمومي القاضي باعدامهِ فسألهُ الرئيس اذا كان يعترض

اجاب مدحت — لديَّ اشياء كثيرة اقولها عند المحاكمة

قال الرئيس ليس لهذا من محل في هذا المجلس

قال شهري افندي محامي مدحت ان الباشا يطلب تمييز الحكم فتذاكر المجلس وعادوا فحكموا باتفاق الاصوات باعدامهِ ثم بلغهُ الرئيس انهُ اذا اراد التمييز فعليهِ تقديم أوراقهِ بعد مرور ثمانية ايام فقط وهكذا انتهت هذه الجلسة

ذكرنا آنفاً ان بعض المحكوم عليهم فوَّضوا امرهم الى رحمة السلطان وطلب غيرهم التمييز فاجيبوا الى ما طلبوا

ثم عقدت جلسة ثانية وابتدأت بتلاوة تقارير السلطة الشرعيَّة عما يتعلق بقتل السلطان عبد العزيز والذين ارسلهم شيخ الاسلام للكشف الرسمي لدى موت جلالتهِ فاحضر حسين حسني معاون شيخ الاسلام وقرَّر انهُ بناءً على اشارة خير الله افندي شيخ الاسلام

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

توجه الى حرس ارطه كوى ليجري الكشف الرسمي على وفاة السلطان وكتب تقريراً هو المعروض الآن على المجلس الّا انهُ تقرير غير مستوفٍ لان الكشف جرى بعد الدفن بيوم او يومين. ثم حضر الشاهد ثابت مصطفى افندي المستنطق وقرَّر ان عبد الله باشا الجركسي ناظر البوليس وقتئذٍ بعثهُ مع بعض العلماء الى الحرس ففتشا وسألا نخري بك وجميع من حضر اليهما وقدَّما تقريراً عن وفاة السلطان فوقَّع عليهِ ولا يعلم ماذا جرى بالتقرير المذكور

الرئيس — هل رأيت الميت

— كلّاً لانهُ كان قد مضى على دفنهِ ٣ ايام

ثم حضر الشاهد مرسي افندي الاسرائيلي وهو احد الاطباء الذين أُحضروا للكشف على جثة السلطان فقرَّر انهُ حضر مع سائر الاطباء الى الحرس ورأوا هناك محمود باشا ورفاقهُ وقال ان الاطباء لم يكشفوا الّا على ذراعي السلطان وساقيهِ ووجههِ وذلك بسرعة تامة ثم امضوا تقريراً

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ربما كان قد أحضر من قبل واكتفوا بذلك من غير بحثٍ أو تفتيش طبي

ثم حضر الشاهد ابرهيم ادهم بك احد رجال السراي ولشهادتهِ اهمية لانهُ كان الواسطة في جميع المخابرات بين السلطان مراد ومجلس الوزراء والسلطان عبد العزيز بعد خلعهِ. قال الشاهد. ان عبد العزيز أرسل بعد خلعهِ بيومين رسالة الى السلطان مراد (وهي التي تقدم نشر صورتها في أوّل الكتاب) وانهُ هو وابرهيم نقلاها وانهُ عاد الى السلطان وقال لهُ ان السلطان مراد يرخص لهُ بالاقامة في سراي فرعية بجانب سراي جراغان وان مجلس الوزراء فوّض الى الشاهد المذكور نقل السلطان فنقلهُ بمزيد التحفظ وقال انهُ رأى علي بك وغيرهُ من الضباط يسيئون معاملة السلطان عند وصولهِ الى السراي المذكورة

الرئيس — يهمنا ان نعرف الصعوبات التي اعترضت تقديم صحن من الشوربا كان قد طلبهُ السلطان عبد العزيز

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الشاهد – كان قد فوّض اليّ النظر في فرش سراي طوب قبو فسألوني ماذا يأكل السلطان المخلوع وحاشيتهُ قلتُ ان ذلك خارج عن مأموريتي فلما كرّروا الطلب رجعتُ الى طوله بغجه وسألتُ نوري باشا حاجب السراي عن ذلك فاجاب ان ذلك غير متعلق بهِ وصادفتُ حسين عوني باشا فسألتهُ السؤال نفسهُ فاخذني الى مجلس الوزراء وكلمهم . ثم دعوني وفوّضوا اليّ وكالة دار جلالته

الرئيس – من هم رجال ذلك المجلس

– هم مدحت باشا ومحمد رشدي باشا ومحمود باشا وخير الله افندي

– اذاً اقتضى قرار من مجلس الوزراء لتقديم طعام ياكلهُ السلطان المخلوع

– نعم

– ماذا تعلم عن مصطفى بهلوان ورفيقهُ

– أعرف انهم أُدخلوا اولاً الى مجلس الوزراء ثم

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

أُرسلوا لخدمة السلطان المخلوع

ثم حضر احمد اغا المابينجي وقرّر انهُ ادخل الذين تقدّم ذكرهم الى نوري باشا الذي التأم المجلس عندهُ وانهُ امرهُ بعد ذلك بالخروج وان يقفل الباب

الرئيس — كم استمرّ الاجتماع

— نحو ٨ دقائق وعلمتُ بعد ذلك انهم ارسلوا من يخدم السلطان

ثم استدعي احمد افندي الضابط وعثمان باشا الفريق وقرّرا ان المتهم علي بك كان قبل القتل بليلة في قصر السلطان المقتول وليس في سراي طولمه بغجه

ثم أُحضرت الى المجلس ملابس السلطان المقتول الّتي كانت عليهِ ساعة القتل مؤلفة من لباسين وجلاّبيّة وقميص و٤ ستائر كلها مخضبة بالدم ثم أُحضر الذين توجهت عليهم التهمة فقال الرئيس هل عندكم ما يقال ضدّ الشهود الحاضرين

فاجاب مصطفى البهلوان ورفيقهُ سابًا اما نخري بك

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فأنكر ما قالهُ احد الشهود عنهُ من انهُ قال (لايعلمنَّ انسان بحقيقة قتل السلطان عبد العزيز الاَّ بعد موتي من ورقة يرونها في صناديقي)

واما البكوات نجيب وسعيد ورضى وعلي فاعترضوا على جميع ما قالهُ الشهود ضدَّهم وانكر محمود باشا قول الشهود انهم شاهدوهُ في حرش اورطه كوى قبل مقتل السلطان

الاَّ ان لطيف بك المدَّعي العمومي اكَّد جميع ما قرَّرهُ الشهود واثبت من سير الدعوى ذنب المتهمين وطلب اصدار الحكم عليهم

فدافع المحامي عن مصطفى بهلوان ورفاقهِ بانهم أُجبروا على قتل السلطان فاذا تمكنت الدائرة من معرفة الذين اجبروهم صار في الامكان براءة هؤلاء المتهمين الذين لا يتجاسرون على قتل السلطان من تلقاء انفسهم

وقال نجيب بك انهُ كان يحرس الباب فلم يشهد القتل ودفع المحامي عن الجزائرلي التهمة الموجهة اليهِ انهُ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

كان في السراي وعلى كل حال فاذا كان قد جرى القتل حقيقة فهو في جملة الذي أُجبروا عليهِ فضلاً عما في تقارير الاطباء وشهادات الشهود من التناقض والاختلاف

وقال المحامي عن نخري بك ان السلطان عبد العزيز عرف من موكلهِ مزيد الاخلاص واختصهُ بخدمة شخصهِ وقد قرّر الاطباء ان السلطان انتحر وان الجرح كان بالمقراض ولكن اي فرق بين المقراض والموسى

فاعترضهُ المدَّعي العمومي قائلاً اذا كان لا فرق بين المقراض والموسى فذلك لا يدل على ان السلطان قتل نفسهُ بل يدلُّ على استخدام احدى الآلتين لقتلهِ

قال المدافع عن سعيد بك وعزت بك وعلي بك انهُ لا يرى في الدعوى مايكفي لاثبات الجرم عليهم وسجنهم

اما المحامي عن نوري باشا فبنى دفاعهُ على انهُ لا يوجد سبب يحمل نوري على قتل السلطان ولا ما يحركهُ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

على هذا الارتكاب وان التناقض ظاهر في البينات وان تقرير الاطباء يؤكد ان السلطان انتحر

امّا المحامي عن محمود باشا فبنى دفاعهُ على ثلاثة اركان واراد ان يبحث فيها وهي اولاً هل يوجد ارتكاب ام لا ثانياً هل المتهم شريك في الارتكاب ثالثاً هل يصح فيهِ انهُ امرٌ مجبر

فنهض محمود باشا وقال انهُ هو الذي يدافع عن نفسهِ بنفسهِ لانهُ لم يفاوض المحامي في هذا الشأن وبدأ فانكر جميع ما اتهم بهِ وما قرّرهُ مصطفى البهلوان من انهُ هو الذي امر بقتل السلطان فقال انني لم اقتل السلطان ولا أدري الغاية او الفائدة من ذلك كما انني لم أرَ مصطفى المذكور ولا شاهدتهُ ولم تكن اللجنة موجودة ولا كنتُ من اعضائها وليس لي ضلعٌ في خلع السلطان كما ان الخلع لم يتم برأي اربعة رجال على ما يزعم البعض بل كان الخلع برأي وارادة الامة وبقوة الرأي العام فقال المدّعي العمومي لا فرق بين الخلع والقتل قال محمود باشا قالوا اني من

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

انسباء السلطان مراد ووالدتهُ ولكني مع سائر الوزراء لم نرَ السلطان مراد الاَّ بعد جلوسهِ ثم ختم كلامهُ قائلاً ان حجتهُ طويلة ولكن صحتهُ لا تسمح لهُ بكثرة الكلام

ثم دحض المدَّعي العمومي ما قالهُ محمود باشا وطلب الحكم عليهِ

فقال محمود باشا مما يؤكد لكم براءتي انني لم احصل بعد موت عبد العزيز على رتبة او وسام بل لم احصل على شيء

نظيف بك — لماذا لم تحضر مجلس الوزراء حين حادثة حسن الشركسي

محمود باشا — لانني لم أُدعَ اليهِ

المدَّعي العمومي — لا بل لاسباب أُخرى

— وما هي هذه الاسباب

المدَّعي العمومي — شاع انك كنت تعلم بما اضمرهُ حسن المذكور

فانكر محمود باشا واستولى عليهِ الغيظ الشديد

وسئل نوري باشا ان كان لديهِ غير ما دافع بهِ المحامي عنهُ فاجاب سلبًا . ثم ان الرئيس استنطق سائر المتهمين فانكروا ارتكاب الجرم او الاشتراك بهِ وسأل خريستوفوريدس افندي مدحت باشا عما قررهُ سعيد بك ونوري باشا وسعد افندي الذي كان وقتئذٍ مستشار الداخلية فقال مدحت — . قلت امس ان لا أهمية لشهادة سعيد افندي الذي كان في الباب العالي يوم الاحد وهو اليوم التالي لوفاة الساطان وهو الذي اخبرني بالحادثة وربما ينكر هذا لانهُ باعترافهِ قد يقع في محذورات عديدة

الرئيس . ما ذا تقول في سعيد بك

مدحت — قد قرّر اني لقيتهُ ذات يوم وسألتهُ عن مصطفى بهلوان ورفاقهِ فهل كانت هذه حجة راهنة وبرهان لا يدفع اما ما قررهُ نوري باشا فقد سبقهُ غيرهُ إلى هذا الادعاء الفارغ

عند ذلك قدّم المدعي العمومي شاهدًا من سوريا اسمهُ رفعت افندي فبعد ان اقسم الايمان قرر انهُ لما كان

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مأموراً في سوريا أُرسل مرة الى حوران للتفتيش فلما رجع الى دمشق ذهب باوراق مأموريتهِ الى دار مدحت باشا ورآهُ يحدّث اشرف افندي وسمعهُ يقصُّ عليهِ خبر خلع عبد العزيز بجميع ظروفهِ وان مدحت قال في سياق الحديث (انهُ فيما كان السلطان يريد التخلص منا خلصنا انفسنا منهُ)

فسأَل الرئيس مدحت باشا عن رايهِ في هذهِ الشهادة فقال هل يخطر لعاقل ان مثل هذا الحديث المهم يقال امام اي كان . اما انا فقد علمتُ ما هو هذا الرجل الذي لم يمنعهُ الخجل من ان يكذب بعد ان حلف اليمين .

فاعترض الرئيس وقال ليس لك ان تشتم الشهود

فاجاب مدحت . مناسب مناسب استعيد كلامي ولكن هذا الرجل أُرسل من هناك واتى الى الاستانة طالباً وظيفة قضائية

عند ذلك نهض المدعي العمومي وبدأَ بالدعوى وذكر من جملة الادلة التجاء مدحت الى قنصلية فرنسا وطلب

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

صدور الحكم فتكلم مدحت طويلاً الى ان قال . اما ان يكون السلطان قد انتحر او مات قتلاً فان كان قتل نفسهُ فليس لهذه المحاكمة كلها من فائدة لكن يقال انهُ قتِل عمدًا فلدى وصولي الى الاستانة قيل لي انهُ توجد ادلة كثيرة مع اقرار المتهمين والشهود فارتبتُ في صحة ذلك حتَّى اذا ابلغوني مضبطة اتهامي انذهلتُ وقلتُ أَلهذه الادلة يتهم العدد الغفير من الناس بذنب عظيم كهذا . ثم انهُ ندَّد كثيرًا بمضبطة الاحالة والاستنطاق واظهر فساد المحاكمة وتكلم في بطلان الادلة واستغرب طريقة الاستنطاق وتعجب من عدم حضور الخصيان الذين كانوا في حجرة السلطان حين القتل على كراسي المتهمين بل رآهم قد وقفوا بصفة شهود ثم انف من الاتهام الموجه الى محمود نوري باشا بوصف لا حق لاحد ان يستعملهُ حتَّى السلطان نفسهُ خصوصاً بعد التنظيمات الجديدة وطلب اخيرًا ان يعرض عليهِ كل متهم ليسمع اقرارهُ.فابى الرئيس احضارهم وقال المدعي العمومي ان البند الذي اعتصم بهِ مدحت يتعلق بالشهود

Digitized by Google · Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

لا بالمذنبين اما مدحت فانهُ اصرَّ على طلبهِ وابى الدفاع عن نفسهِ فرفض المدعي طلبهُ وطلب من المجلس المذاكرة فتذاكر واذ ذاك رضي مدحت ان يدافع ولكنهُ ما زال يلحُّ بوجوب اجابة طلبهِ مستندًا على الشريعة اما الرئيس فبعد ان الحَّ على مدحت ثلاثًا ختم الجلسة واختلت هيئة المجلس فاصدرت القرار الذي اسلفنا ذكرهُ

ثم ان مجلس التميز تفرَّغ للبحث عن المتهمين وذلك عن حكم دائرة الجنايات بقتل السلطان عبد العزيز ومعلوم ان لا محل التميز في الحكم على من اقرَّ بذنبهِ واما الذين اصرُّوا على انكار الاشتراك فانهم بعد تلاوة الحكم المبني على الاثبات والشهادة المقررة اخذوا يعترفون بالقائهم الذنب بعضهم على البعض الآخر فقال احدهم للآخر انت الذي كنت السبب وهذا ينادي انهُ بناءً على رأي فلان ارتكب الذنب وآخر يقول ان فلانًا قدم لنا الموسى وآخر يقول ان فلانًا هو الآمر وآخر ينادي قائلاً انما سرتُ بحسب اوامر فلان وكان محمود باشا يستشيط

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

غيظاً من نوري باشا وتسمعهُ يلعن اسم نوري باشا فقال ان نوري هو الذي جرني الى هذه المسئلة وفيما كان منهمكاً بسلب الحلى والمجوهرات والاثاث والامتعة الثمينة ساقنا الى ارتكاب الجناية فقد سلب من الحلي ما بلغت قيمتهُ ٧٠٠٠٠ ليرة عثمانيةً وسلب من السراي الامتعة الثمينة التي ازدانت بها دائرة الحضرة السلطانيةً كالكراسي والمكاتب ونقل ذلك كلهُ الى دارهِ في بلطة ليمان ولما صرتُ في المابين الهمايوني استرجعت منهُ هذه المفروشات ووضعتها في محلها . ولنوري باشا اليوم عند كريستاكي افندي وعند غيرهِ من الصرافين مليون ليرة ذلك كلهُ من سرقة اموال الشهيد السلطان عبد العزيز

واما نوري باشا فقال ان محمود باشا كان منوطاً بهِ امر سراي فرعية وهو الذي قدم الموسى للقاتل مصطفى بهلوان واما ما سلبهُ من الامتعة فقد اعتذر عن ذلك قائلاً ان الذي سلبهُ من السراي ليس بشيء بالنسبة الى ما سلبهُ غيرهُ

اما محمَّد رشدي باشا المترجم فكان كلما دخل السراي

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

يقول ألا يكون لي ايضاً فرش يوافق مخدعي ثم يأخذ كل ما استطاع من الاثاث عتيقاً كان او جديداً وينقلهُ الى منازلهِ

واخذ رشدي باشا وزوجتهُ خمسة آلاف ليرة عثمانيةً والوف كثيرة من الليرات وُزّعت على سائر المشتركين بالذنب فان السلطانة والدة مراد افندي كثيراً ما اهدت الحلى الكريمة لزوجة رشدي باشا وان كل ما وجد في سراي فرعية من الامتعة الثمينة نقلهُ محمود باشا الى دارهِ بكثير من الصناديق . واما محمود باشا فلم يكتفِ بان يذكر ما لنوري باشا من المال نقداً بل ذكر ما لهُ من العقارات فاكد ان النقود التي سلبها من السراي زادت في املاكهِ في بلطه ليمان حيث زاد في البناء وابتاع كرماً وانهُ بنى مؤخراً في حيدر باشا قصراً ولديهِ من المجوهرات والامتعة الثمينة نحو ٣ ملايين ليرة

وهذه المحاكمة العلنيّة قد اظهرت كيفيّة مقتل السلطان عبد العزيز وقد اشتهر الامر وذاع واصبح مدفن جلالتهِ

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مزارًا يقصدهُ اهالي الاستانة للتبرُّك وعند نهاية المحاكمة قدمت السلطانة والدة السلطان عبد العزيز عريضة الشكر للسلطان عبد الحميد حامدةً انصافهُ واجتهادهُ لاظهار الحق. وهذا آخر ما اتصل بي من امر هذه المحاكمة ومنها يظهر ان السلطان عبد الحميد كان في اول ايام ملكهِ عادلاً ولا أدري ما الذي طرأ عليهِ هذه الايام حتى وصل بالمملكة الى هذه الدرجة ولكن أُرجح انهُ منذ حادثة السعاوي وثورتهُ لانقاذ ملكٍ مظلوم وقتل ملك آخر اصبح جلالتهُ اذا رأى غير شيء ظنهُ رجلاً

وسنأتي على تتمة ما جرى لمدحت باشا وحادثة علي السعاوي في وقتهما

السلطان مراد

اعود الآن الى الكلام عن السلطان مراد المسجون في قصرهِ وهو الرجل الذي كنا نأمل الخير من ملكهِ ففطنتهُ سحابة من وجود السلطان الحالي في صغر سنهِ

Digitized by Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

هو السلطان ابن ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان وُلد من ام ٍ شركسيةّ في ٢١ ايلول (ستمبر) سنة ١٨٤٠ وظهرت عليهِ منذ طفوليتهِ مخايل النجابة والذكاء وعني والدهُ بتربيتهِ واجبهُ كثيرًا وكان يناديهِ "مرادم" اي يامرادي واقام على تعليمهِ فريد افندي وعمر افندي وكان الثاني من مشاهير كتبة ذلك العصر فافرغ جهدهُ في تعليمهِ حتى اكسبهُ ملكة الانشاء فاصبح يعدُّ من كتبة اللغة التركيّة ولهُ الاشعار الرائقة والمقامات الفائقة

وتلقى العربيّة عن الاستاذ الشهير الشيخ حافظ افندي واتقن قراءة القرآن الشريف وولع كثيرًا بالرياضيات والهندسة والتصوير ولما بلغ الرابعة عشر من سنهِ بدأ بدرس اللغة الافرنسيّة . واستاذهُ الاول فيها ادهم افندي المعروف بادهم باشا الصدر الاعظم المشهور ولهُ سيرة غريبة يحسن بنا ذكرها بوجيز العبارة

ولد من ابوين يونانيين ونجا بصدفة غريبة من مذبحة شيو (١٨٢٢) و بيع بيد النخاسين كعبدٍ في الاستانة

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فساقهُ الحظ ان اشتراهُ خسرو باشا الصدر الاعظم في عهد السلطان محمود ولما رأى فيهِ الذكاء وتوقد الذهن ارسلهُ الى مدرسة باريس الكبرى فبرع فيها وكان من انجب تلامذتها وحاز قصب السبق في الفنون والعلوم فعاد الى الاستانة بعد ان احرز الشهادة وبدأ يتقلّب في الوظائف والرتب فعيّن مستشارًا ثم وزيرًا ثم سفيرًا وبعد نفي مدحت باشا (٥ فبراير شباط ١٨٧٧) أُلقيت اليهِ مقاليد الصدارة العظمى

وخلفهُ في تعليم مراد افندي كامل باشا والموسيو كاردي فوقف السلطان المخلوع على اسرار اللغة الافرنسيّة ولكن لم تسمح لهُ الاحوال بممارستها ولذا لم يتمكن من التكلم بها كما يلزم وقد رأيتُ خط يدهِ في احدى الكتب الفرنسويّة مأخوذًا بالفوتغراف . وقيل ان ولعهُ الشديد بالموسيقى هو الذي حال دون تمكنهِ من العلوم واللغات . وتلقى ذلك الفن عن استاذين ايطاليين وهما كوتللي باشا رئيس الموسيقيين في البلاط الشاهاني

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

واوغست لونباردي فبلغ فيهِ المقام الاعلى

ولم تقتصر براعتهُ على ضرب اصعب الاغاني والاناشيد فقط بل كان من المؤلفين فيها ابتكر انغاماً جديدة باناشيد تركيّة ثم هام بحب فتاة من البلجيك ورغب في التزوج منها فعارضهُ والدهُ واوجب ذلك حزنهُ الشديد

وامتاز بحريّة افكارهِ فانتظم في سلك الماسون وكان يذهب الى المحافل سرًّا تحت ستار الليل الدامس

ثم ظهرت امارات السويداء عليهِ فانهُ بينما كنت تراهُ فرحاً بشوشاً ينقلب الى سكونٍ تام فتراهُ قد سهي وشتَّ وحلَّق في جو الاوهام والتخيّلات ثم يقوم الى البيانو فيجلس ساعات متوالية يضرب عليها منشدًا الحاناً يبتكرها بنت ساعتها كأَنهُ غائص في بحر من الفكر

وولع في الهندسة فأَنفق المبالغ الباهظة في تزيين قصرهِ واستدان اكثرها بفائظ فاحش

وكان لطيفاً محبوباً حليماً طويل الاناءة وانما نظرًا للعادة القديمة المتبعة بين سلاطين آل عثمان وهي الحجر

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

على اولياء العهد وعدم السماح لهم بمخالطة احد لم يتمكن من الوقوف على عادات الامم فكان يقتل اوقاتهُ بما ذكرنا من الملاهي . ولا يخفى بان ذلك يولّد خمولاً في الادراك وشراسةً في الاخلاق ورغماً عن ذلك كان شديد الميل الى العلوم وظلّ رضي الاخلاق لم يكدّر احداً . يؤيّد ذلك اتفاقهُ الدائم مع عمهِ عبد العزيز افندي (لما كان وليّاً للعهد) رغماً عما اشتهر عنهُ من شراسة الاخلاق ولم يختلفا الاَّ قبل وفاة والدهِ السلطان عبد المجيد حيث توهَّم عمهُ عبد العزيز بأَنهُ اتفق مع والده على تحويل ولاية العهد اليهِ فلم يتمالك عبد العزيز اخفاء كدرهِ فكلَّف احدا خصَّائهِ ان ينوب عنهُ بابلاغ مراد افندي كدرهُ منهُ فلا تسل عن دهشة مراد افندي لما بلغهُ تهمة عمهِ وصاح بالرسول قائلاً اما حان لهُ ان يعرفني وقد اختبرني منذ ١٣ سنة ومع ذلك فاني ارضى ان يحجر عليّ حتّى يتوفى والدي ويتولى هو الخلافة بعدهُ فرضي عبد العزيز عنهُ ووعدهُ بحسن المعاملة متى تولى الخلافة وانهُ يترك لهُ دارهُ في

قصر (طولمه بغجه) ويعين لهُ معاشاً شهرياً خمسة آلاف ليرة ويختاً مخصوصاً لنزهتهِ

فلما توفي السلطان عبد المجيد وخلفهُ السلطان عبد العزيز نسي ما وعد بهِ ابن اخيهِ الذي صار وليّ عهدهِ فانهُ لم يسمح لهُ اولاً بدارهِ في طولمه بغجه بل اعطاها لهُ ولاخيهِ عبد الحميد افندي "السلطان الحالي" ثانياً لم يعين لهُ سوى ربع ما وعدهُ بهِ من المعاش . ثانياً وهبهُ يختاً ثم عاد فانتزعهُ منهُ واخيراً اعاد لهُ بناية قوربقه ليدره "في جهة اسيا بالقرب من اسكي دار" واودعهُ فيهِ كسجين

معاملة عبد العزيز

وفي عام (١٨٦٣) توفي سعيد باشا خديوي مصر وخلفهُ اسماعيل باشا فقدم الاستانة العليّة لتأدية واجبات الشكر للسلطان عبد العزيز خان وقدَّم لهُ يختهُ (فيضي جهاد) الذي صنعهُ في انكلترا وانفق عليهِ ١٥٠٠٠٠ ليرة استرلينيّة اشارة لامتنانهِ من تعطفات السلطان بالخلافة

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الخديوية فسرّ بهِ السلطان ولما قدم جلالتهُ مصر ركب ذلك اليخت ومعهُ مراد افندي خوفاً من خلعهِ او المؤامرة عليهِ في غيابهِ . ولكن لم يلبث طويلاً حتى غضب عليهِ بلا ذنب فأمر بالحجر عليهِ ثلاثة اشهر في قصرهِ ومنعهُ من مقابلة احد ... كل ذلك خوفاً منهُ . ولما تذمّر مراد افندي من سوء حالهِ وشكى اليهِ امرهُ ملتمساً منهُ العفو كان جزاؤهُ ان اطال مدّة حجرهِ الى سنة كاملة

وظلّ السلطان عبد العزيز على تلك المعاملة مع ابن اخيهِ تارةً يرضى عنهُ وطوراً يغضب عليهِ حتّى رحلتهُ الى معرض باريس عام ١٨٦٧ حيث اخذ معهُ نجلهُ يوسف عزّ الدين افندي وولدي اخيهِ مراد افندي وعبد الحميد افندي (السلطان الحالي) ولكن لم يصل الى مرسيليا حتى ثار فيهِ الحقد والغضب واخذ يفكر فيما اذا كان يحجر على وليّ عهدهِ في الباخرة (فيضي جهاد) او يرجعهُ الى الاستانة موثقاً فلما بلغ فؤاد باشا ذلك تجاسر وقال لمولاهُ ماذا تقول عنك ملوك اوربا اذا حجرت عليهِ وقد

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

بلغها خبر مجيئهِ بمعيَّة جلالتك

فاذعن الى قولهِ مضطرّاً وعادت تلك الرحلة على مراد افندي بالويل فان عمهُ كان يغضب منهُ ويحرق الارم كلما رأى احتفاء والتفات نابليون الثالث والملكة فكتوريا بهِ خصوصاً لتفضيلهم اياهُ على بكرهِ يوسف عز الدين افندي

ولما عاد الى الاستانة حجر عليهِ في جفتلك — فوربقه ليدره — واحاطهُ بالجند والحرس ولم يسمح لهُ بالخروج حتَّى ولا بعربةٍ مقفلة ومنعهُ من مقابلة اصدقائهِ

ويقال انهُ رغماً عن جميع هذه الاحتياطات تمكن مراد افندي من الخروج سرًّا وغلساً فكان يزور بعض اصدقائهِ الاخصَّاء او يذهب الى حفلةٍ ماسونيَّة وقرأنا لبعض اصدقائهِ الرواية الآتية ننقلها على علاتها والعهدة على الراوي والنقل صحيح قال . بينما كنت جالساً في غرفتي ذات ليلةٍ قرع الباب ودخل عليَّ رجل بلحية وعلى رأسهِ قبعة فدهشت من دخول ذلك الزائر المفاجىء

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فتبسم وقال هلمّ الى الملهى الفرنساوي (تياترو) فلا تسل عن دهشتي لما عرفت ان الواقف امامي هو مراد افندي ولي العهد فقلت لهُ واذا عرفوك . فاجاب واني لم ذلك وانا بهذه اللحية العاريّة وهذه القبعة الافرنجيّة فامتثلت امرهُ وقصدنا الملهى فقال انا الليلة هرون الرشيد وانت جعفر البرمكي وظلّ تلك الليلة فرحاً لعوباً حتَّى قدم احد الباشوات وجلس بالقرب منا نخاف ان يكشف امرهُ فقال لنرجع الى بيتك فنضرب قليلاً على البيانو ونبحث بعدهُ في الفلسفة فقام وتبعتهُ وقضينا تلك الليلة كما شاء واراد. انتهى

وكان رغماً عن عدم تعمقهِ في العلوم والفنون ولِعاً بالبحث فيها جميعاً يكثر من السؤال والاستفهام عن الامور الّتي أُشكلت عليهِ كرجل يحب الوقوف على كل شيء

وامتاز خصوصاً عن آلهِ وذويهِ بحريّة افكارهِ وكرههِ الشديد للتعصب حتى انهُ كان يقول (اذا صرتُ سلطاناً لاطردنّ ذلك السلطان (التعصب) السائد على مملكة آل عثمان

وطلب من احد المحامين الفرنساويين ان يهيئ لهُ قانونًا اساسيًّا للدولة العثمانيّة دعامتهُ الحريّة . والظاهر ان ذلك المحامي لم يتمكن من اجابة طلبهِ امَّا لقلة بضاعتهِ او لعدم مساعدة الظروف لهُ

فعزم حينئذٍ ان يضع بنفسهِ ذلك القانون ولكن عدل عنهُ بعد ان خطَّ بعض بنودهِ لما عرف عدم كفاءتهِ لمثل ذلك التأليف

اجتماع اوربي بمراد

ولم تنفعهُ رحلتهُ الى اوربا الَّا قليلاً بسبب الحجر الشديد عليهِ يؤيد ذلك ما قرأناهُ في احدى التآليف من ان احد كبار الاوربيين زار الاستانة العليَّة عام (١٨٧٣) وطلب مقابلة وليّ العهد والاجتماع بهِ بواسطة اعظم وزراء السلطان عبد العزيز فأُجيب ان من المستحيل اجابة طلبهِ وان السر اليوت سفير انكلترا رغب في الاجتماع بهِ فلم يحصل على امنيتهِ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ولما كان احبّ شيء الى الانسان ما منع عنهُ زادهُ جواب الوزير شوقاً للاجتماع بولي العهد فافرغ ذلك السائح جهدهُ وبذل ما عندهُ من الوسائل وابرز من الاصفر الرنان الذي هو داءٌ لكلّ دواء خصوصاً في البلاد العثمانية فازال كل العقبات حتّى فاز بغرضهِ وجاء صديقاً حميماً لمراد افندي بعد ان حمل لهُ كتاب وصاةٍ بالثقة بهِ والاعتماد عليهِ وسألهُ اجابة طلبهِ بعد ان اطلعهُ على رغبتهِ الشديدة بمقابلة ولي العهد. قال. فلما رأى رغبتي الشديدة تبسم وقال — اضرب لك موعداً بعد غدٍ الساعة السابعة على جسر اسطانبول — سمعاً وطاعةً لا اتأخر ثانيةً. وفي الساعة المعيَّنة ركبنا زورقاً الى اسكدار فلما وصلناها ركبنا عربةً وتوجهنا نحو غابٍ وهناك اشرنا الى السائق بالانتظار وقلنا لهُ ان نزهتنا فيهِ لا تفوت الساعة ثم توغلنا بين اشجارٍ غضة حتّى وصلنا الى صراطٍ يؤدي الى جفتلك (قوربقليدره) فتبعناهُ حتّى وصلنا الى بناية فخيمة من حولها حاجز حصين ليس لها الاَّ باب كبير اما نحن

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فتوجهنا الى وراء البناية حيث رأينا باباً صغيراً سرياً فقرع رفيقي الباب واذا بعبدٍ قد ظهر امامنا فلما وقع نظره على رفيقي انحني الى الارض مسلماً ثم مشى امامنا الى قاعة فسيحة حيث كان وليّ العهد بانتظارنا فدخلنا عليهِ بكل احتشام وتقدمنا اليهِ للسلام اتباعاً للعادة التركيّة اما هو فتقدم الينا باسماً وصافحنا على العادة الافرنجيّة وامرنا بالجلوس فامتثلنا وتأملتهُ فاذا بهِ ممتلئ الجسم قصير القامة فيهِ جاذبيّة عاطفة تقطر نظراتهُ لطفاً منظوم الاسنان . وكان يومئذٍ في الرابعة والثلاثين من عمرهِ يلبس ثوباً افرنجياً رمادي اللون . ومن ثمّ شرع ينهال عليّ بالاسئلة المختلفة واحببت ان اقف على افكارهِ وما اثّرت عليهِ رحلة اوروبا فقال اعجبني بين مدنها باريس وبين ممالكها انكلترا وبين ملوكها ملك بروسيا فسألتهُ عن سبب اعجابهِ بهِ فاجاب لما كنت ضيفاً عندهُ في بوتسدام خرجت ذات يوم باكراً لاتنشق نسيم الصبح في بستان القصر فرأيت على بعض خطوات مني رجلاً يحادث احد الحراس بلطفٍ

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وانس فلا تسل عما اصابني من الدهشة لما عرفت ان الرجل هو الملك غليوم بنفسهِ الذي لما اقتربت منهُ تبسم والتفت الى الحارس مسلماً بكل لطف ودعة وتقدم اليَّ واكملنا نزهتنا سويةً فأثَّرت فيَّ وداعتهُ هذه وقلت هكذا يجب ان تكون الملوك وعزمت على الاقتداء بهِ

فاعجبني حديثهُ وسألتهُ رأيهُ في الواجب الاول لنجاح الام وباي شيء يجب الابتداء فقال في التعليم فهو وحدهُ يبدّد غيوم الجهل . والتعليم يجب ان يكون الزامياً مجانياً لا دخل لرؤساء الدين فيهِ

ثم قال — هذا من اهم الامور في تركيا لطرد التعصب وسابدأ بالتعليم لاصلاح المملكة فاشيّد المدارس العموميّة ويكون التعليم فيها الزامياً يجلس على مقاعدها المسلم والنصراني واليهودي فيأتلفون من نعومة اظفارهم ويعيشون كاخوة وليس كاعداء

قال فعجبت مما سمعت وازددت تعلقاً بوليّ العهد وطالت المفاوضة بيننا في مختلف من الشؤون

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وخرجت من ناديهِ وفي النفس ميلٌ للبقاء عندهُ وسألني ان احرر لهُ عن سياسة اوروبا من باريس وهكذا ظللنا مدة ثلاث سنوات نتبادل المكاتبات (ونشرت جريدة الريبوبليك فرانسز قسماً من تحاريرهِ).ورغبت ان يكل اليَّ تهذيب ابنهِ ولكن حال دون ذلك امتناع عمهِ السلطان عبد العزيز

وكان عازماً ان يدعوني لانظم له شؤون التعليم وتعميمهُ في المملكة العثمانيَّة متى رقي منصب الخلافة ولم يحل دون ذلك سوى قصر مدة توليهِ العرش العثماني

وقدمت لهُ نسخة من كتابٍ كنت الَّفتهُ وطبعتهُ في بروكسل عام ١٨٣٥ وهو لكتاب الذي حصل لهُ شرف المنع من الدخول الى فرنسا ابان الامبراطوريَّة

وكان ذلك التأليف جمهوري النزعة حرَّ المبدإ ضد كل سلطة فأخذهُ وقرأهُ بكل تمعن حتَّى انهُ نقل بعض فصولهِ الى التركية

وراق لديهِ خصوصاً ما كتبتهُ ضد الاسترقاق وقال

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

لي انهُ عازم اشد العزم على الغائهِ ومحو آثارهِ من تركيا مع ابطال الخصيان وهي الاهانة الاولى للطبيعة — واستعباد المرأة — وهي الاهانة الثانية للمدنيَّة

وكان يقدّر ما للمرأة من التأثير على الهيئة الاجتماعيَّة ولذا كان يرغب ان تجاري المرأة العثمانيَّة المرأة الاوربيَّة في علمها وكان يتذمر دائمًا من مرارة عيشهِ مع حرمهِ ويقول ان طاعتهنَّ العمياء تقتل الحب من اصولهِ وجهلهنَّ الاعمى يبدّد كل لذة بمسامرتهنَّ . انتهى ما اثبتهُ السائح

تنصيب السلطان مراد

وكان مراد افندي نائمًا ليلة ٢٠ ايار فذهب اليهِ حسين عوني باشا وايقظهُ من رقادهِ العميق وطلب منهُ ان يرتدي ثوبهُ على عجل فذعر مراد افندي من هذا وخاف ان يكون السلطان قد انفذ حسين عوني باشا للايقاع بهِ او القبض عليهِ

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

فسأله — ماذا تريد

قال انا احدقنا بالقصر ولا يمكن لعمك الفرار وسيعلم بعد قليل بانهُ مخلوع وان مراد الخامس هو وريثهُ الشرعي وخليفة الله على الارض

فلم يطمئن فؤاد مراد افندي لهذا الجواب وزاد جزعهُ فدفع اليهِ حسين عوني باشا فردًا وقال اذا كنت تخشى خيانة مني فخذ هذا وطير دماغي اذا بدت اقل اشارة مني فاقتنع قليلاً ونهض من فراشهِ ولبس ثيابهُ وتبع حسين عوني باشا وانحدرا نحو الرصيف حيث كان قارب بانتظارهما فتوجها بالقارب نحو مدرعةٍ بناء على أمر حسين عوني باشا ليبلغ ربانها أمرًا كان نسيهُ فهناك تعاظم قلق مراد افندي وظن ان الدارعة هي سجنهُ الابدي ولكن لحسن الحظ لم يطل حسين عوني باشا الاقامة في الدارعة حتّى عاد وأمر البحارة بالتوجه نحو السر عسكريَّة. حينئذٍ اطمأن فؤاد مراد افندي

فلما وصلا الى السر العسكريَّة هرع لاستقبال مراد

افندي الصدر الاعظم ومدحت باشا وشيخ الاسلام وغيرهم وللحال قرأوا خلع السلطان عبد العزيز ونادوا بولي العهد مراد افندي سلطاناً ثم طلبوا منهُ ان يوقع امراً باخراج السلطان عبد العزيز وعائلته من قصر (طولمه بغجه) الى (قصر طوب قبو) وللحال انفذوا ذلك الامر الى رديف باشا الذي تولى حصار قصر السلطان فلم يتأخر ثانية عن تنفيذهِ كما تقدم في صفحة ٣٩

ولما بزغ الفجر أُطلقت المدافع وطاف الناس ينادون في اسواق الاستانة وأحيائها يبشرون الامة بجلوس السلطان مراد على عرش بني عثمان فابتهجت القلوب فرحاً

وفي الغد حصلت المبايعة فأمر السلطان مراد ان يدخل عليهِ من يشاء الدخول كبيراً كان او صغيراً اميراً او حقيراً فدخلت عليهِ الجماهير من جميع الطبقات والرتب على اختلاف المذاهب وبايعوهُ الملك وتشرف الجميع بالمثول لديهِ ودعوا لهُ بطول البقاء

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وفي اول يوم جمعةٍ بعد جلوسهِ خرج في حفلة السلاملك فركب عربة يجرها اربعة من جياد الخيل وسار الى طولمه بغجه فسلك طريق غلطه وعبر الجسر الى استانبول و بعد ان زار تكية طوب قبو التي يوجد فيها ثوب صاحب الشريعة الاسلامية ترجل من العربة وامتطى صهوة جوادٍ وتوجه الى جامع ايا صوفيا و بعد ان صلى عاد الى القصر في نفس الطريق التي جاء منها . وحدّث ولا حرج عن احتفال الشعب بهِ ذهاباً وايابًا حتَّى لقد ترك الاجانب جميعهم اشغالهم وخرجوا يشاركون العثمانيين في فرحهم بملكهم المتجلي لهم فملأ الناس الفضاء بالادعية والهتاف وهم ينادون (فليحيَ السلطان مراد) وهو نداء لم يسمع للسلطان عبد الحميد لانهم لا يرونهُ ولا يراهم ومن فتح فمهُ للدعاء حسبوهُ يقذف من فيهِ قنابل الديناميت فجعلوا الموت جزاءهُ وكنت ترى النساء يرمينَ الناس بالزهور وبلغ الفرح من الامة العثمانية ان الشعب اراد ان يجرَّ عربة السلطان بدلاً من الخيل ولم يرد في تاريخ الدولة العثمانية

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مثل هذا الفرح ولا ان الشعب اظهر مثل هذا التملق باحد سلاطينهِ اما جلالتهُ فتمنعهم بلطف عن جر العربة وكانت اسرتهُ تبرق سرورًا بما رآهُ من بهجة الشعب فأخذ يسلم عليهم باسمًا

وكان السلطان مراد قد تعهد لعبد العزيز ان يحسن معاملتهُ ويكثر العناية بهِ فلما بلغهُ خبر موتهِ صاح باعلى صوتهِ (خنتني ياحسين عوني وقد البستموني ثوب عار لا يفنى الى الابد لانني تعهدت لهُ ان احفظ حياتهُ فيا للعار) واوقع السلطان مراد التهمة على حسين عوني ورديف باشا وكان يأبي ان يصدّق ان عبد العزيز قد انتحر بل كان يعتقد انهُ قضى بيد جانٍ اثيم . واسفَ مراد لموت عبد العزيز اسفًا عظيمًا وبرّح بهِ الحزن حتّى انهُ كان يبكي مرارًا كثيرة واستولت عليهِ السويداء وعبثًا حاول اعوانهُ وحاشيتهُ ان يخففوا حزنهُ فقد خيل لهُ ان اوربا المتمدنة تتهمهُ بقتل عمهِ او الموافقة على التخلص منهُ باعدامهِ ولم يتوفق الى اناس يعرفون كيف يزيلوا من رأسهِ هذهِ الاوهام

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وفي ٥ تموز (يوليو) نهض من فراشهِ وقد امتقع لونهُ واصفرَّ وجههُ وظهرت عليهِ دلائل التعب والارق فاصبح من ذلك اليوم غير مسؤول عمَّا حدث لانهُ كان يكرر قولهُ اني اريد ان استقيل وان اذهب الى فرنسا او ايطاليا التماساً للراحة والعافية. وما زال على الحالة الَّتي ذكرناها حتَّى حدثت تلك المعركة الَّتي هجم فيها حسن الجركسي على حسين عوني باشا ورفاقهِ كما سبق القول فاستلم زمام السلطنة اذ ذاك مدحت باشا ورشدي باشا وشيخ الاسلام خير الله افندي وأجلوا حفلة تثبيت السلطان في جامع السلطان ايوب الى شهرين بالتسويف والتأخير وهي الحفلة الَّتي فيها يشتمل السلطان الجديد سيف السلطان عثمان موسس السلالة العثمانيَّة. ونشروا بين الناس اشاعة مآلها ان السلطان مراد مصاب بالحمى وانهُ قد ظهرت في وجههِ بعض بثور ودمامل لا يوافق معها خروجهُ ايام الجمعة لحفلات السلاملك في عربة مكشوفة فكان يخرج في عربة مقفلة

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وظلَّ مرضهُ الحقيقي غير معلوم من الناس الى ان اذاعتهُ جرائد اوربا لكنها بالغت في وصفهِ واول جريدة ذكرت مرضهُ هي جريدة تصدر في جنوبي فرنسا نشرت رسالة منسوبة الى الدكتور كابليوني طبيبهُ الخاص الذي كان جهلهُ اعظم سبب في خسارة المملكة العثمانيَّة احسن السلاطين واكثرهم عدلاً وحريَّة وتمدُّناً ويقول قوم ان الطبيب المذكور كان شريكاً لبعض ذوي الغايات فلم يسعَ لنجاة سيدهِ

كل هذا جرى وسفراء الدول لم يجدوا فرصة لتقديم اوراق تعينهم للسلطان الجديد فساءَهم ذلك وتذمروا واعلن الجنرال اغناتيف انهُ يزايل الاستانة ولا يرجع ما لم يتربع في دست الملك من يصلح لهُ . وزاد في الطنبور نغمة اختلاف الوزراء في مسئلة السرب والجبل الاسود واذ ذاك ذهب مدحت باشا (ولا يعلم اذا كان ذهابهُ مباشرةً من تلقاء نفسهِ او باتفاق مع اخوانهِ) وفاوضَ عبد الحميد افندي ولي العهد (السلطان الحالي) وسألهُ

Digitized by Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

عما اذا كان يتولى كفالة الملك الى ان يشفى شقيقهُ فاجاب عبد الحميد (ان امرًا كهذا لم يسبق حدوثهُ في السلطنة فلا اكون انا البادئ) قال مدحت وهل تقبل ان تكون سلطانًا ومراد حيًّا يرزق . اجاب عبد الحميد (لمَ لا اذا كان لا امل من شفائهِ) وعقيب هذه المفاوضة استدعي الدكتور ليورسدوف رئيس مستشفى المجانين في ڤينا فجاء الى الاستانة وتوجه توًّا الى سراي طولمه بغجه ولم يسمحوا لاحدٍ من الناس ان يقابل الطبيب الأَ بعض زملائهِ وبعد ان رأى السلطان مراد منعوهُ عن نشر تقريرهِ ولم يعلم من امرهِ الاَّ انهُ خطَّأَ طبيب السلطان الخاص ولامهُ على انهُ فصدهُ ووصف لهُ النزهة في البحر وتعهد ان يشفيه في شهرين اذا عملوا بموجب اوامرهِ فنشرت جرائد الاستانة ذلك يومئذٍ فاطمأنت افكار الشعب واخذ السلطان مراد يركب كل يوم باخرة ويتنزه تارةً في بحر مرمره وطورًا في البحر الاسود وذكرت جريدة الليفانت هرالد يومئذٍ السبب الذي من اجلهِ لم ينشر تقرير الدكتور

ليدرسدوف وشجبت الحكومة لانها لا تصدر رسالة يومية عن صحة السلطان كما يجري في اوربا فاظهرت الحكومة بعض محتويات التقرير وكتمت الباقي وفيما كان الناس يرجون ان يشفى حالاً طرأ ما يعجّل في خلعهِ واختلف الرواة في الاسباب . واولاها بالتصديق ان مدحت باشا لما رأى عدم تمكنهِ من اجراء ما يريد لمقاومة رشدي باشا الصدر الاعظم وكان يريدان يحل مسئلة تركيا الفتاة بذاتهِ ورأى ان احسن حل لها وجود حكم فاصل لخلافهما الدائم فاتفقا على ذلك وطلبا من شيخ الاسلام خير الله افندي اصدار فتوى الخلع فلم يتأخر عن ذلك وبعد ثلاثة ايام شاع بين الناس خبر خلع السطان مراد الخامس وذلك يوم الخميس الواقع في اول سبتمبر فخرج السلطان عبد الحميد الى شارع بيرا وقد احدق بهِ الوزراء وتوجه الى الصدارة العظمى وعند ظهيرة النهار قضيَ الامر واطلقت الطوابيماية مدفع ومدفع معلنة تسنم عبد الحميد عرش الدولة العثمانيّة ولا تسل عن دهشة الشعب واسفهم . اما

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

مراد فانهم نقلوهُ من سراي طولمه بغجه الى سراي جيراغان ولا يزال فيها الى الآن

عبد الحميد الثاني

ان ضعف صحتهِ حال دون تلقيهِ العلم وكان يخشى عليهِ من السل لان والدتهُ توفيت بالداء المذكور واول دروسهِ بدأ بها مع أخيهِ مراد تحت رعاية والدها عبد المجيد الاَّ ان عبد الحميد لم يتمكن من اتقانها فاكتفى بدرس اللغة التركية والقرآن الشريف . وحدث انهُ تعرَّف بخياطة من اهالي البلجيك كانت بارعة الجمال اسمها فلوره كورديه فاقنعها باعتناق الدين الاسلامي وجعلها بين حرمهِ وهكذا علمتهُ مبادىء اللغة الفرنساوية . وتمكن طبيبهُ الخاص مافريوني باشا من اقناعهِ بوجوب ترك المشروبات الروحيَّة ففعل واهتمَّ بالامور الزراعيَّة في ايام عمهِ عبد العزيز وهكذا انقذ حياتهُ لكنهُ لا يزال ضعيف البنية وهو اسمر اللون ولد من ام ارمنيَّة من جورجيا فمنذ تولى العرش

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

بدأت حاشيتهُ تدخل عليهِ الغش والخداع واخترعوا كل يوم خبر موءامرة ضده وان السلطان مراد لهُ حزب قوي يريد ارجاعهُ فشدَّد عبد الحميد في التضييق على اخيهِ واهلك ونفى العدد الغفير من الذين اتهموا بالانتماء اليهِ

مفاوضة مع مراد

اما مراد فانهُ توجه الى الصحة ونقه من دائهِ بعد مضي اربعة اشهر على خلعهِ لكنهُ كان يشكو من المعاملة السيئة والتضييق عليهِ وعدم الترخيص لاحدٍ من اصدقائهِ بمقابلتهِ . على ان احدهم تمكن من الدخول اليهِ في سجنهِ بواسطة المرهم الذي يجبر كل كسر في تركيا وهذا ما قالهُ صديقهُ . تأثرت كثيرًا من بياض شعرهِ في مدة قصيرة فقال لي انك عرفتني منذ سنة ونصف براس شاب والآن يدهشك ان تراني كهلاً قد كلل الشيب راسي وربما خيّل لك ان ذلك حادث فجائي طرأ عليَّ كما حدث لماري انتوانت (ملكة فرنسا) او انهُ من تأثير السجن ولكنك

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

غير مصيب في ظنك هذا . كان في رأسي بعض شعرات
شائبة قبل وفاة عمي ورغبت ان ابقيها على حالها اشارة
الى سن الكمال فأبت والدتي ذلك وقبل ان صرت
سلطانًا جاءتني بسائل غريب وكانت تغسل بهِ شعري
مرارًا فعاد الى سواده الاصلي ولكن نشأت عنهُ آلام شديدة
في رأسي ويقول الدكتور كابليوني ان اسباب ذلك غير
ما ذكرتُ اما الدكتور ليدرسدوف فيقول ان الآلام
ناشئة عن نيترات الفضة ومواد أُخرى مضرّة كانت في
ذلك السائل فلما انقطعتُ عن استعمالهِ انقطع الالم

اما اخي عبد الحميد فانهُ لم يدرك مركز المملكة الحرج
وهو لم يقرأ شاكسبير ولم يتساءل كما يتساءل هامليت

To be or not to be, that is the question.

وهو لا همّ لهُ الآن يمنع مراد من الرجوع الى العرش
وهذا الذي يمنعهُ عن النوم ويسبب لهُ الارق واعوانهُ
يبالغون لهُ في وصف انتصارات جيوشهِ (وكان الحديث
في غضون الحرب الروسية) ويكتمون عنهُ اخبار المزيمة

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

والفشل. يقوده محمود باشا داماد كما يشاء ومحمود على شاكلة محمود نديم باشا ولكنهُ اشد جهلاً . وقد سجن اخي جميع الذين يمكنهم ان يصرّحوا بالحقيقة على مسمع منهُ. قال المخبر — وهنا توقف مراد عن التكلم قليلاً ثم سألني — ماذا يفعل مدحت باشا الآن في اوربا (وكان منفياً) وكيف حال كامل باشا واين هو الآن كسّاب افندي (المحرر المشهور الذي كان قد حكم عليهِ بالسجن ٣ سنين لانهُ نشر صورة هزاية تمثل العوبة اطفال (كراكوز) مقيد الايدي والارجل مكبلاً بالسلاسل وكتب تحتهُ (حريّة المطبوعات ضمن دائرة القانون) ثم قال ان كسّاب افندي يجهل السبب الحقيقي الذي من اجلهِ صدر عليهِ هذا الحكم الصارم واني مطلعك عليهِ . فاعلم ان اخي عبد الحميد حاقد عليهِ من قديم الزمن لانهُ في زمن عمي عبد العزيز ترجم الى اللغة التركيّة رواية البخيل تأليف موليير وسمّى هرباكون باسم (بنتي حميد) ولما كان اخي مشهوراً في عائلتنا بامساكهِ واقتصادهِ ظن انهُ المراد من هذه التسمية فحقد على كساب واضمر لهُ

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

الشرّ من يوم تمثيل الرواية المذكورة . واذكر انهُ دخل عليَّ في ذلك الحين والحنق يكاد يخنقهُ وانهال على كساب باللعنات والشتائم فقلتُ لهُ ان المترجم لا يعرِّض بك لان الرواية قديمة العهد من جيلين الفها رجل فرنساوي اسمهُ موليير وان الاسم (حميد) هو اسم خوجه اشتهر في الاستانة قديماً ببخلهِ كما اشتهر نصر الدين خوجه بهزلياتهِ فاجابني عبد الحميد — ولكن كان يقدر كسّاب ان يسمي بخيلهُ مراد قلتُ صدقتَ يا اخي ولكن لو سماهُ كذلك لفقد الاسم كل تأثير واهميّة قال لا يهمني تأثير الاسم واقل ما فيهِ انهُ يكون قد ابتعد عن التعرُّض لي ولاهانتي ولم يخطر لي ببال يامراد انك انت الذي اوحيت اليهِ بهذه الرواية او هذا الاسم. فلما رأيت ان الحدَّة استولت عليهِ اقسمتُ لهُ بكل محرجة من الايمان وبالقرآن الشريف ان لا علم لي بما فيها فبرّأني يميني ولكن لم يبرّيء كساب افندي ومن ذلك الحين حقد عليهِ. وانا ادرى الناس بطباع اخي لانهُ متى اعتقد في امرٍ ما كان اقناعهُ بعدم

Digitized by Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

صحتهِ من المستحيلات . قال الصديق فسألتهُ عن رغبتهِ في الرجوع الى العرش قال ان الشعب هو الذي تركني في في ساعة الحاجة حتى ألقيت في هذا السجن كمجرم ولذلك على الشعب دون سواهُ ان يأتي ويحل قيودي وللشعب كل الحق باعلان رغبتهِ في ارجاعي واني انتظر هذا من اصدقائي ولا افعل شيئاً من تلقاء نفسي بل احتمل سجني بصبر حتى انني أحتمل الدسائس الموجهة الى حياتي الى ان يأتي الله بالفرج

ايضاح للقاري

قد بقي شيء كثير من الحقائق عن احوال سلاطين تركيا وسأذكرهُ مفصلاً في الجزء الثاني الذي سيكون اكثر اهمية من هذا الجزء لاحتوائه على حياة السلطان عبد الحميد وكيفية معيشتهِ واسرافهِ ومعيشة الحرم السلطاني ودسائس البلاط وغير ذلك من الاخبار العجيبة

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

من مراد الخامس الى عبد الحميد الثاني

هذا تعريب الكتاب الذي كتبهُ مؤخرًا السلطان مراد الخامس الى السلطان عبد الحميد القابض على زمام الملك ويتضح من مطالعتهِ انهُ كتبهُ وهو سجين الظلم والغدر في سراي جيراغان «على قطع اوراق منثورة وبأواخر اقلام مكسورة» وقد وصلت نسخة هذا الكتاب اليَّ في اوائل شهر اوغسطس (آب) سنة ١٨٩٥ بعد ان رحلت رحلة طويلة وبعد ان مرّت بين ايدي عدد من معارفي وهم لا يعلمون ما فيها فركبت البحار واجتازت البراري والقفار تارةً في البواخر وطورًا مع القطار والذي ارسلها اليَّ خائف عليها وعليَّ. اما كيف حصلت عليها وكيف نجت من خزائن الاسرار حتى تيسر نشرها في هذه الديار فذلك سرٌّ لا يعرفهُ انسان لان في افشائهِ موت كثيرين والعياذ بالله. وهذا الكتاب خطتهُ يد السلطان مراد بين الساعة الاولى والخامسة من صباح يوم الجمعة ولا ادري تاريخ الشهر وانما اعلم انهُ من عهد قريب. وجل ما علمتهُ انهُ كتب على على الاوراق البيضاء التي توجد عادةً في اوائل الكتب واواخرها وان السلطان السجين انتزع الاوراق الموجودة في قرآن لديهِ. ومما زادني سرورًا بهذا الكتاب ان مرسلهُ اليَّ يقول في كتابهِ الخصوصي «وببذل اجتهادي للحصول على هذا الكتاب وتمكني من ذلك ساجتهد لاوصل نسخة من كتابكم «سر مملكة» الى حضرة ولي العهد ان شاء الله»

وقد نشرت هذا الكتاب في عدد ٤٧ من جريدتي المشهر بتاريخ

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

٢١ اوغسطس (آب) سنة ١٨٩٥ واذكران حضرة وطنينا الفاضل خليل افندي غانم ترجمهُ الى اللغة الفرنساوية ونشرهُ في جريدتهِ الكرواسان . وهذا نص الكتاب

اخي — ان المصائب ٱلَّتي أُصيبت بها دولتنا قد اوجبت تأثر الاشخاص الذين تعينوا للمحافظة عليَّ وأُمروا بالتشديد في مضايقتي مع عموم عائلتي فحملهم تأثرهم على تجسس الحوادث الحاضرة وايراد ذكرها في خلال اجتماعاتهم اما لاهتمامهم بمستقبل الوطن او لاهتمامهم بمستقبلهم الذاتي . فانتشرت اخبار الحوادث الاخيرة بين هؤلاء المحافظين والخدم حتى وصلت اليَّ . ومجمل ما تمكنت من الوقوف عليهِ من الاخبار المتداولة بينهم هو ان الشدة ٱلَّتي عومل بها الارمن في ولاية بتليس بلغت اخبارها اوربا فطلب السفراء من جلالتكم بيان الحقيقة فأقدمتم على تكذيبها. وعليهِ ارسلت هيئة تحقيقية مؤلفة من بعض مأموري الاجانب فاثبتوا وقوع انواع من الجرائم بل تمكنوا من القبض على بعض اوراق يستفاد منها ان ما وقع في تلك الانحاء انما وقع بارادة سنية وعليهِ هاجت الافكار العمومية وتألفت لجان شتى في اوربا اهمها في مدينة لندن توالت بها الاجتماعات وتقررت من قبلها الالتماسات الى الحكومة الانكليزية فأقدم الانكليز على التداخل وتبعت فرنسا وروسيا مسلكهم وباشتراك الدول الثلاث وضع تقرير ورفع الى جلالتكم للتصديق عليهِ مع ان محتوياتهِ مضرة باستقلال الدولة

وخلاصة ما بلغ مسامعي عن هذا التقرير انهم يطلبون جمع ولايات ارزروم ووان وبتليس وخربوط وسيواس الى ادارة واحدة

Digitized by Google   Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

ووضع نظامات مخصوصة بها وترتيب مجالس مخصوصة في مراكز الولايات والالوية اكثرها من الاجانب للنظارة على انفاذ احكام النظامات المذكورة وتأليف مجلس عام في الاستانة موءلفاً اكثره من الاجانب ايضاً ويكون له حق النظارة العمومية الى غير ذلك من الاشاعات التي لا تضارع السابقة اهمية

اخي . يجب علينا ان نتحرى الاسباب الداعية لتهيج اوربا وتداخلها في داخليتنا لنقف على الدواء الناجع . انت تعلم ان المرحوم السلطان عبد العزيز نهج في الادارة نهجاً سيئاً حتى اواخر سلطنته فاسقط اعتبار الدولة المالي وتعلم ان كل ما تعهدنا باجرائه في ممالكنا مما تدعو اليه المدنية وبوجب تقدم البلاد لم ننجز منه شيئاً سواء كانت رسمية او غير رسمية وتعلم ايضاً ان هذه الاحوال اوجبت اخيراً شق عصا الطاعة ورفع لواء العصيان في قطعة الروملي وكان علينا ان نستيقظ وتتنبه من غفلة رقادنا ونتخذ الذرائع الجدية والسريعة فأهملنا الامر وسرت شعلة الاختلال واندلع لهيبها بما اتينا من الاعمال السيئة . وكانت النتيجة ان ذهب السلطان ضحية داعيات الزمان الناجمة عن سوء الادارة . واهتم اركان الدولة وتتنبه بتغيير شكل الادارة وتوفيق اصولها على الادارة الاوربية آملين بذلك رفع الخطر الكلي عن الدولة والمملكة . وقد اجتمعت قبيل جلوسي على تخت السلطنة بأعاظم اركان الدولة وتتنبه وخصوصاً مع مدحت باشا وتبادلنا الافكار بالذات وبالواسطة فأجمع الكل على لزوم اعلان القانون الاساسي وتحوير شكل الادارة الى الاصول الشوروية ولم يكن

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF CALIFORNIA

بين هؤلاء سوى رشدي باشا المتأصلة في نفسهِ العادات القديمة والذي يحسن ان يقال عنهُ انهُ كثير الوسواس فقد كان يخشى فتنة عامة الناس اذا اعلن القانون الاساسي زاعمًا ان موضوعهُ قد لا يوافق احكام الشريعة المطهرة . على ان اصول الادارة في صدر الاسلام بل في زمان حضرات الخلفاء الراشدين ثبت ان المشورة كانت اهم واقدس مبادي الاسلام فبينتُ لهم ذلك وذكرتُ ان انقاذ هيئة الملة والدولة يتوقف على اتخاذ التدابير اللازمة بقوَّة وثبات بدون التفات الى ما يقدّمهُ عامة الناس من الاعتراضات الواهية ألتي لا تطابق حقائق الاحوال وضرورات الزمان . على ان هذا الفريق من الناس متى رأى النتائج الحسنة يكون اشد سرورًا من سواهُ . فان اثقال سوء الادارة يقع معظمها على العامة . واقمت دليلاً على ما قلتهُ من الاحوال ألتي ظهرت اثناء نشر الخط السلطاني الذي وضعهُ حضرة والدنا ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان وصدق الجميع وقتئذٍ على قولي ثم عقب ذلك خلع السلطان عبد العزيز الاَّ ان بعض الوكلاء وفي مقدمتهم رشدي باشا وعوني باشا ما لبثوا ان رجعوا عن رأيهم وطلبوا بقاء الادارة الحاليَّة مدة مع اجراء بعض اصلاحات . واخذ بعض المتعصبين الذين لا يفقهون شيئًا من احوال الدولة في معاكسة الافكار وقام آلنا والحرم السلطاني ايضًا يعاكسون نشر القانون الأساسي بدعوى انهُ مضر بحقوق السلطنة ولا ريب انكم تتذكرون ان اهم هذه المفاسد واقواها جرى من طرفكم بواسطة محمود باشا صهرنا

Google UNIVERSITY OF CALIFORNIA

وتعلم ايها الاخ انهُ في خلال هذا الاضطراب داهمنا المرض واشتدت وطأتهُ بما داخل انواع التداوي من الفساد (تظهر صحة قولهِ هذا لمن قرأ في فصول سر مملكة عن استعمال السائل لصبغ شعرهِ) واذ ذاك قبضتم على زمام الملك وحينئذٍ مال رشدي باشا بافكارهِ الى مدحت باشا وعظمت مصائب الدولة فتيسر لكم قبول القانون الاساسي ونشرهُ فاطمأنت قلوب الامة العثمانية وقل الهياج في اوربا . على ان هذه الحياة الجديدة للدولة عرض عليها داء الاستبداد المستقر في طبيعتكم فاوقعها في خطر الموت ولما كان وجود مدحت باشا مانعاً من اجراء ما تضمرون بدأتم اعمال القانون الاساسي بجلب مؤسسهِ الى السراي اذ كان في الصدارة العظمى وافقتموهُ اولاً ثم ابعدتموهُ واخرجتموهُ من الممالك العثمانية وكانت النتيجة ان اوربا علمت انكم تضللونها فقامت قيامة الافكار فيها ووقعت الامة العثمانية في ورطة اليأس . وعقب ذلك الحروب المتوالية مع الجبل الاسود والصرب والبلغار والروسية وفي هذه الحروب ما فتئت الاوامر المضرة التي كانت تصدر من السراي (يلديز) تسوق جيوشنا الى المواقع الخطرة وتساعد على اهراق دمهم عبثاً حتى تشتت شمل الجيوش وجيء بجيش العدو الى مركز السلطنة .

ومع ان الدولة اعتادت منذ قديم الزمن ان تجمع اركان الدولة في ابان الشدة وتستطلع آراءهم ومع ان القانون الاساسي كان قد أُعلن رسمياً فقد نظر الى المبعوثين وقتئذٍ كاعداء ولم تؤخذ افكارهم في المسائل المهمة الاَّ لما بلغ جيش العدو موقع ايا استفانوس فأُحضر

البعض من المبعوثين الى السراي وحالما تفوه اثنان منهم بالقول الحق لم يكن من المرائين الا ان اشبعوهما ضرباً والقوهما من رأس السلم الى اسفل . وعقب ذلك صدور الامر بفض مجلس المبعوثان والغاء القوانين واقتصر على العمل بقانون البلدية واما سائر القوانين فبقيت مهملة وفي جملتها قانون المطبوعات الذي هو الواسطة الاولى لنجاح المملكة وكان نصيب الذين نطقوا بالحق من المبعوثين في ذلك الاجتماع الحبس والنفي الى بلادهم ولم يكتف بذلك بل صدرت الاوامر الخفية الى الولاة بالتضييق عليهم اينما وجدوا وهكذا كان نصيب بعض الباشوات الذين اكتسبوا ثقة الملة وانتخبوا لمجلسها ان تفرقوا ايدي سبا . وبعد ان أُلغي المجلس بالصورة المذكورة ٱلتي تنفر منها الخلق جيء بمن كان سيئ الخلق قبيح الخصال مذموم المبادي ومن تكرههُ الامة اجمع فقرّب من جلالتكم عدد غير قليل ظناً بانهم يلبثون على صدق الخدمة لشخصكم وأُلقيت اليهم مراكز السلطنة في العاصمة والولايات

وتأسست وقتئذٍ في الاستانة قاعدة النفي بغير محاكمة الامر الذي لم يسبق حدوثهُ في دولة ما او في عصر من العصور ومما زادنا أسفاً انهُ قد صدرت اوامر عديدة الى المأمورين تساعدهم على ايقاع هذه المظالم وتقررت الادارة العرفيّة بلا موجب في الاستانة وبقيت الى يومنا هذا بحيث لو فرض وجود معذرة لاعلانها وقتاً ما فلا يوجد عذر لدوامها. ثم أُعطيت اهم واردات الخزينة الى فريق من الاراذل ليتجسسوا الخلق ويعرضوا ما يتفوَّه بهِ الناس بحق جلالتكم فكانت هذه الوظائف وسيلة لزيادة سرورهم فاخذوا في اختلاق الاكاذيب

بما يرفعون كل يوم من التقارير حذرًا من ضياع رواتبهم اذا تأخروا يومًا واحدًا . وانتم تعلمون كم خرب على يدهم من العائلات وكم نفي من الرجال وكيف اصبح الاهالي ينظرون الى الدولة بغير اطمئنان وبقلوب واجفة وهذا وحدهُ كافٍ لخراب اية دولة كانت. ولم يقف الامر عند هذا الحد بل عم الظلم فصدرت احكام الادارة العرفيَّة ودواوين الحرب وبعض المحاكم ايضًا بحبس ونفي الآخرين وتعاقبت اوامر السراي وباب السر عسكريَّة ونظارة الضابطة وضابطة يوغلي وبشكطاش واسكدار معلنة باجراء المظالم ففقد من الخلق عدد عظيم عدا عمن اغرقوا في البحر او القوا في الآبار وادُّعي انهم قد فروا هاربين . كل هذا يذكرني بالمباحثة ٱلَّتي جرت في مجلس المبعوثين لما بلغ افرادهُ طرح عدد من طلبة العلوم في البحر. فهذه الاعمال جميعها اعمال منتقم جبار ما جاء لعمار الملك بل لتخريبهِ. ولا بدع اذا قلَّت جرأَة الناس عن المجاهرة بالقول الحق وفتحت ابواب الرشوة ولا جرم ان الباب العالي وسائر الدوائر تصبح والحال على ما ذكر اسمًا بلا مسمى وان تنحصر الادارة جميعها بسراي يلديز ويكون الوزراء بمثابة الخدم وتجري المزايدة علنًا في السراي على المأموريات والامتيازات وان يعم الخراب اصول الدولة وفروعها ؛ وانتم تعلمون ان السلطان المرحوم عبد العزيز كان يتناول من الخزينة ٧٥ الف ليرا شهريًا واخيرًا حين جلوسي تركت منها ١٥ الف ليرا وتركت ايضًا جميع الاملاك السلطانيَّة لخزينة الماليَّة وتعلمون ان واردات الدولة كانت وقتئذٍ اكثر من وارداتها اليوم لانهُ لم يكن

قد انفصل عنها القسم المهم بداعي سوء الادارة ٱلَّتِي وقعت . ومع ذلك ابلغتم تخصيصاتكم الى ٩٥ الف ليرا شهريًّا ولم تكتفوا بما عقدتم من الشركات الخفيّة مع التجار وادارات الالتزام فشكلتم ادارة الاراضي السنيّة فجعلتم ادارة خاصة ضمن ادارة عموميّة وحكومة مستقلة وجعلتموها منزهة عن التكاليف ضمن الحكومة العثمانية فألحقتم بهذه الادارة كل الاراضي والمناجم المهمة ٱلَّتِي تأتي الخزينة بمنافع جمة . ومع ان الاوقاف نفسها مكلفة ببعض التكاليف لبيت المال فقد منعت عن الاراضي السنيّة رسوم الاعشار والويركو والحيوانات وسائر التكاليف العائدة للخزينة . وبما ان جميع القرى والقصبات العائدة للدولة تؤدي انواع الرسوم والتكاليف الاميريّة وتحمل من جهة ثانية مظالم المأمورين والضابطة ولدى انتقال الاهالي لخدمة الاراضي السنيّة لا يكلفون شيئًا الّا اداء الخمس عن المزروعات وبعض رسوم المواشي كاد الخراب يعم بلاد الدولة وينحصر النجاح بالقرى التابعة لادارة الاراضي السنيّة وتكاد البلاد تصبح مزرعة والتبعة زرّاعها . فان الزراع في الاراضي السنيّة لا يتحملون شيئًا خارجًا عن درجة اقتدارهم حالة كون الاهالي الذين تحت ادارة الدولة رأسًا يتحملون ما لا يطاق من مظالم المرتكبين الذين سلمت اليهم مهام الادارة والاعمال . وبما ان واردات الخزينة تنهب سرًّا وعمال الدولة يعملون على ابادة الرعيّة ولا يفتكرون الّا بما يحصلونهُ لانفسهم اصبحت ممالك الدولة دمارًا والتبعة في ضنك شديد وما ترك نوع من انواع المظالم ٱلَّتِي يخجل

منها آلنا الكرام في نظر تاريخ الأ واقدم على اجرائها فزاد اضطراب الخلق وبلغ منهم اليأس اقصى درجاتهِ واذا بالمسألة الارمنية قد ظهرت للعيان فكانت خاتمة الاحزان . ولقد كان من المناسب في هذه المسألة اجراء بعض التدابير وذلك ان يؤخذ من اقدم على هذه الاعمال الفظيعة تحت المحاكمة وتعيين اشد عقاب لهُ بدلاً من انكار الفظائع التي حدثت واخفائها. وان لا نصرّ على اتباع الاستبداد الذي ادى بالمملكة والدولة الى هذا الحال . بل نسرع لاعادة القانون الاساسي . ومن العجب الأ يخطر هذا الفكر على البال وان يعتاض عنهُ بأفكار سقيمة واعمال دنيئة تضحك منها اوربا وتبكي الامة معاً

اخي — : ان الاحوال قد ساءت وزمن الظلم والاستبداد مرّ وما بقي احد يغترُّ بالكذب والنفاق ويحتمل الظلم والعنف فدع عنك الغفلة وتجنب سوء الفكر وانهج مسلكاً قويماً وتمعن بما تؤول اليهِ حالة الدولة والمملكة مما يعود ضررهُ على آلنا. وابعد من حولك كل منافق مراءٍ يمتص دم الملة واعلم ان الخل الوفي لنا انما هو الامة وانهُ لا يدفع عنا الفناء الأ اتفاقها . ثم تجنب يا اخي الكذب والظلم واسرع الى اصلاح الادارة فان هذا هو الذي يسرّ تبعتنا ويرضي الامم الاوربية

أخي : كتبت لك قبلاً ان الخلق لا يحكمون بالجبر والظلم وقد علمتك الحوادث الاخيرة صدق هذا القول . أخي : لقد ابعدتَ عنك جميع ارباب الحمية الصادقين للدولة والوطن وسلمتَ زمام الدولة والسلطنة لا داني الناس الذين لا يبحثون الأ عن منافعهم

الشخصيّة . ولا انكر انك قد اهتممت بجميع الامور حتى حصرت ادارة الدولة بشخصك وتوقفت الاعمال كبيرها وصغيرها على ارادتك . غير ان هذا الفكر مضر بادارة الدولة ولا يمكن لفردٍ ما اتمامهُ . وقد اوجب انحطاط الدوائر الرسميّة وتعطيل امور الدولة وتسليط الحشرات الموجودة في المابين على جميع الادارات والولايات . والتاريخ يثبت ان السراي السلطانيّة كانت مدرسة للادب والمعارف والفنون والادارة. وقد اصبحت الآن بالمسلك الذي نهجتهُ ملجأً للاشقياء الذين يجرون في نفس السراي انواع العذابات بحق الابرياء الذين يقبض عليهم بواسطة الجواسيس ويؤتى بهم الى المابين لاستجوابهم عما ادُّعي عليهم بهِ من التفوُّه بحق جلالتك فيقعون ولو ابرياء تحت طائلة العذاب الشديد الذي يبكي عالم الانسانيّة

أخي ، الزمان يمرُّ مرَّ السحاب والحال كثيرة الخطارة وليس لك سبيل الى السلامة والنجاح الاَّ باعادة القانون الاساسي الذي طنطنت بهِ الجرائد اعواماً كانهُ احسان سلطاني ثم أُلغي لغير سبب الاَّ غاية البقاء على الاستبداد. فأجمع المبعوثان وأَحيي قلوبهم المنكسرة بالتلطيف واسعَ في تحسين الادارة بما امكن من السرعة ولا تمنع المعدّين للجلوس على كرسي السلطنة من آلنا من تحصيل العلوم والمعارف والوقوف على احوال الرعيّة ومداخل السياسة ومخارجها فانك بالحجرِ عليهم في سراياتهم تحجب عنهم نور المعرفة وتمنعهم من تحصيل الوسائل الّتي يتمكنون بها من عمار وتقدم البلاد ومجاراة العصر . فابعث بهم الى المكاتب واستخدمهم في المناصب . ولا تمنعهم

من الاختلاط ولا تخف منهم فان المجادلات الشخصية قد مرَّ زمانها والزمان قد تغير والاحوال الماضية لن ترجع . واعلم ان اصلاح الادارة لا يتم بالمواعيد ولا بالتدابير السقيمة وان اوربا لا تنخدع ولا تسكت بعد وان الامة العثمانية لا ترضى ببقاء القديم على قدمهِ واذا كان مركز الادارة قد اختل ولم يبقَ لك من تعتمد عليهِ او تأتمن جانبهُ من الاصدقاء والاغيار والتبعة والاجانب فمن العبث ترك الادارة المركزية على هذا الحال والاهتمام فقط باصلاح الولايات . ان ارسال المأمورين والقوميسيرية وغيرهم بألقاب متنوعة لا يجدي نفعاً ولا يدفع ضرًّا . ولا ينجم عنهُ الأ اضاعة الوقت عبثاً واستهزاء العالم

اخي : اسرع في معاقبة الذين ارتكبوا الفظائع بحق الارمن ايًّا كانوا واسرع بالاتفاق مع مبعوثي الامة واركان الدولة في اجراء التدابير الجدية ألَّتي تنقذ الدولة من الانقراض ثم اترك الاستبداد واجتنب سوء الادارة والغ ادارة الاراضي السنية وأعد املاكها للخزينة واجعل مرتبات جلالتك على قدر تحمل الخزينة

أخي : اتبع المنهج الذي ابينهُ لك واعلم انك اذا لم تفعل فانك تسوق الدولة والامة من مصيبة الى اعظم حتى تؤدي بها الى المحو والانقراض وتثبت في تاريخنا نقطة سوداء لا تمحى حتى القيامة — . هذا ما أقدمتُ على كتابتهِ اليك على اوراق متعددة بقلم مكسور قياماً بحق نعمة الملة واستودعنهُ حميتك السلطانية للنظر والعمل بهِ ان شاء الله

فهرس كتاب سر مملكة

صفحة

٠٣ اهداء الكتاب
٠٤ مقدمة
٠٥ السلطان عبد العزيز
٢٣ امبراطورة فرنسا في الاستانة
٢٥ الثورة على عبد العزيز
٣٢ سقوط عبد العزيز
٤٧ جلوس مراد
٥٠ آخر ايام عبد العزيز
٥٤ موت مهري خانم
٥٦ حسن الجركسي وهجومهُ على الوزراء
٦٢ فصل معترض . ماذا جرى في دمشق
٦٩ القصيدة الحائيَّة
٧٠ القصيدة الرائيَّة
٧٣ القصيدة البائيَّة
٧٥ القصيدة الطرابلسيَّة
٧٧ حادثة في دمشق الشام
٨٢ محاكمة مدحت باشا

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

صفحة

١١٩ السلطان مراد
١٢٤ معاملة عبد العزيز
١٢٨ اجتماع اوربي بمراد
١٣٣ تنصيب السلطان مراد
١٤٢ عبد الحميد الثاني
١٤٣ مفاوضة مع مراد
١٤٧ ايضاح للقاري
١٤٨ مكتوب السلطان مراد للسلطان عبد الحميد

انتهى الجزء الاول وسنشرع في طبع الجزء الثاني
مدير المشير
١٠٠ كودج

Google
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

UC SOUTHERN REGIONAL LIBRARY FACILITY
AA 000 660 747 7
Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF CALIFORNIA